

ليلة النصف

من شعبان وحكم

الاحتفال بها

النور

الشمس جنيهاً

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٨٨ - السنة الحادية والأربعون - شعبان ١٤٣٣ هـ

ضلالات التصيرية

في العبادات

والأعياد

إن السعيد

لمن جنب

الفتن

ماذا نريد من رئيس الدولة ؟

ملف العدد

ربح البيع أبا يحيى





السنة الحادية والأربعون
العدد ٤٨٨
شعبان ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فاعلم أنه لا إله إلا الله
صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبْحُوا بَقَرَةً»

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ سبحانه وتعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة؛ كان يكفهم أن يذبحوا أي بقرة ليحققوا أمر الله جل وعلا، ولكنهم شددوا على أنفسهم في السؤال عن مواصفات البقرة، فشدد الله تعالى عليهم في كل مرة.

وفي التشديد - بلا شك - شقاء، لا يرضى به الأذكىاء، لكنهم يشقون أنفسهم بأيديهم.

وقد شدد الناس على أنفسهم في اختيار مُرْشَحِ الرئاسة كتشدد بني إسرائيل، واشتروطوا في ذلك شروطاً؛ فلا يصلح الكبير المسن، وكذلك صغير السن «لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ» [البقرة: ٦٨].

ولا يصلح الأبرص الأشقر، ولا الذي جنسية أهله «مدغشقر». وكذلك لا يصلح مَنْ ليس عنده «كاريزما» أو ليس لبقاً مع كل موقف أو أزمة.

بل لا بد أن تكون شخصيته «فَافِعٌ لَوْنُهَا كَسَرُ النَّظِيرِ» [البقرة: ٦٩]. بل قالوا: كذلك لا يصلح إلا من يمشي في الأرض مَرَحًا فيخرق الأرض ويبلغ الجبال طولاً.

ويثير الأرض، ويسقي الحرث، ويبذر الحب، وينثر الحب، وكان بالنزاهة موصولاً.

وبعد غناء ومشقات، واشتراط النزاهات ودقة البيانات، اجتمعت الصفات.

وإذا بنا مع التأكيد على النزاهات؛ ندخل من جديد إلى عالم المتاهات.

وَمَنْ شَدَّدَ - كبني إسرائيل - شدد الله عليه «مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ»!!

اللهم ولّ علينا خيارنا ولا تولّ علينا شرارنا، اللهم ارحم مصر وأهلها آمين !!

التحرير

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاکر الجنیدی

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

زکریا حسینی محمد

جمال عبد الرحمن

معاویة محمد هیکل

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧. فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٤٥٦ - ٢٣٩١٥٥٧٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٤٠ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة



مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم



الآن بالمركز العام

المجلد الجديد لعام ١٤٣٢
ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ،
الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب
دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر
ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا
دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة هورية باسم
مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع
إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة
التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو
مايعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك
على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة. باسم مجلة
التوحيد. أنصار السنة ، حساب رقم / ١٩١٥٩٠ ،

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل
التواصل بينها وبين القراء في كل ما
يتعلق بالأمور الشرعية تعرضها على
لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على
البريد الإلكتروني التالي:
q.tawheed@yahoo.com

في هذا العدد

- | | |
|----|---|
| ٢ | افتتاحية العدد: الرئيس العام |
| ٦ | ماذا نريد من الرئيس ؟ د. عبد العظيم بدوي |
| ١٠ | متبر الحرمين : ابراهيم محمد الحقييل |
| | ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها |
| ١٤ | فتحي عثمان |
| ١٧ | الإسلام وبناء الإنسان : د. السيد عبد الحليم |
| ٢١ | دور البحار: علي حشيش |
| ٢٣ | ملف العدد « وفاة الشيخ زكريا حسيني » |
| ٣٢ | دراسات شرعية: متولي البراجيلي |
| ٣٦ | واحة التوحيد: علاء خضر |
| ٣٨ | باب الفقه : د. حمدي طه |
| ٤٢ | من فقه إدارة الدعوة : د. محمد يسري |
| | وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية |
| ٤٤ | المستشار أحمد السيد علي |
| ٤٦ | الأسرة المسلمة، جمال عبد الرحمن |
| ٥٠ | شبهات حول الصحابة: أسامة سليمان |
| | تحذير الداعية من القصص الواهية |
| ٥٣ | علي حشيش |
| ٥٧ | القصة في كتاب الله: عبد الرازق السيد عيد |
| ٦٠ | دراسات قرآنية: مصطفى البصراي |
| ٦٣ | من الآداب الإسلامية: سعيد عامر |
| ٦٦ | إن السعيد لمن جنب الفتن : عبده الأقرع |
| ٦٩ | الأمانة : صلاح الدق |



٧٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
و ٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين... وبعد:

فقد ذكرت في المقال السابق شيئاً من معتقدات الطائفة النصيرية
الباطلة، وهذا يظهر بآدنى تأمل؛ وتتمة لكشف عوارهم وباطلهم، أشير هنا
إلى عباداتهم وأعيادهم وأفعالهم الدينية بالمسلمين، فأقول وبالله التوفيق:
إن طائفة النصيرية لا تعبد الله كما شرع سبحانه، بل عباداتهم
باطلة كعقيدتهم الفاسدة، ومما تجدر الإشارة إليه هنا قبل أن نذكر بعض
عباداتهم أنهم يعتقدون أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وأنهم وحدهم العالمون
ببواطن الشريعة، ومن هنا فقد أولوا العبادات المفروضة إلى معان غريبة
خرجوا بها عن الشرع الحكيم وهدى النبي الأمين صلى الله عليه وسلم،
فالصلاة عندهم عبارة عن خمسة أسماء هي: علي، وحسن، وحسين،
ومحسن، وفاطمة، ومحسن هذا يسمى عند النصيرية بالسر الخفي، وذكر
هذه الأسماء عند النصيرية يجزئ عن الغسل من الجنابة والوضوء، وهم
يصلون في اليوم خمس مرات، لكنها صلاة تختلف في عدد ركعاتها عن
صلاة المسلمين. [انظر: الموسوعة الميسرة ج ١/ ٣٩٥].

أركان الإسلام عند النصيرية:

وأول وقت للصلاة عندهم: صلاة الظهر، وتتألف من ثمانية ركعات،
ثم صلاة العصر، وتتألف من أربع، ثم المغرب وتتألف من خمس، ثم العشاء
وتتألف من أربع، ثم الفجر وتتألف من ركعتين، وقد ورد في كتاب «الباكورة
السليمانية» أن الصلوات الخمس عند النصيرية هي كالتالي: الظهر لمحمد
صلى الله عليه وسلم، والعصر لفاطمة، والمغرب للحسن، والعشاء للحسين،
والصبح لمحسن الخفي، كما أنهم لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة
كالوضوء ورفع الجنابة قبل أداء الصلاة، وليس لهم مساجد عامة، بل
يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون دائماً مصحوبة بتلاوة الخرافات، كما
أنهم لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة
أصنام، والزكاة عندهم معناها شخصية سلمان الفارسي - رضي الله عنه
- وبالتالي فهم لا يعترفون بالزكاة الشرعية المبينة في الكتاب والسنة
النبوية، ويدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما
يملكون، وهم بهذا يشتركون مع فرق الرافضة، والصيام عندهم هو حفظ
السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة مع الإمتناع عن معاشرته النساء
طيلة شهر رمضان. وهذه العبادات المذكورة بهذا المعنى لا تمت إلى الإسلام
بصلة.

إسقاط التكليف في معتقد النصيرية:

ومع هذا الضلال في العبادات، فهم يُسقطون هذه التكاليف عن
مشايخهم الذين يصلون إلى درجة الاصطفاء التي يعتبرونها فوق درجة
النبيين، وفوقها درجة أخرى أعلى منها وهي درجة الحجاب، فمن وصل
منهم إلى هذه الدرجات كما يزعمون أصبح حراً وسقطت عنه التكاليف،
ويستدلون على هذا بقول الله تعالى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ» [النجم: ٤٢]،
ويقولون في معنى الآية: إن الرجل إذا عرف ربه فقد انتهى للمطلوب، ولا
شيء أبغ إلى الله من الوحدةانية والمعرفة، وإنما وُضعت الأصناف والأغلال
على المقصرين، وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات فقد عتق من الرق،
ورُفعت عنه الأغلال والأصناف. والمراد بالظاهر عندهم سقوط التكاليف
الشرعية عن العبد من الصلاة والصيام وغير ذلك.

حكم الخمر عند النصيرية:

وإلى جانب ذلك فهم يرتكبون المحرمات، ولهم ليلة يجتمعون فيها
ويختلط فيها الحابل بالنابل كشأن الفرق الباطنية، ويعظمون الخمر
ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب ويحرمون قلعها أو قطعها؛ لأنها
هي أصل الخمر التي يسمونها النور، ويقولون عندما يشتهون الخمر ما
نصه: إن هذا عبدك عبد النور شخص النور حللته وكرمته وفضلته لأولياك



افتتاحية
العدد

ضلالات

النصيرية

في العبادات

والأعياد

الحلقة الثانية



بقلم / الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجيزي

www.sonna_banha.com

من معتقدات النصيرية الفاسدة: أن أول وقت للصلاة عندهم صلاة الظهر وتتألف من ثماني ركعات ثم صلاة العصر وتتألف من أربع ، ثم المغرب وتتألف من خمس ، ثم العشاء وتتألف من أربع ، ثم الفجر وتتألف من ركعتين .



العارفين بك حالاً مطلقاً، وحرمته على أعدائك الجاحدين - يعني المسلمين - اللهم مولاي - يقصدون علي بن أبي طالب - كما أحللتنا أرزقنا به الأمن والأمان، والصحة والإنعام ، وأنف به عنا الهم والأحزان. [انظر ماذا تعرف عن الطائفة النصيرية ص ١٢، ١٣].

مشابهة النصيرية للنصارى:

وللنصيرية طقوس وصلوات تشابه ما عند النصارى، ومن قداساتهم: قداس الطيب لكل أخ حبيب، وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرخ والسرور، وقداس الأذان وبالله المستعان.

وكل قداس له ذكر خاص وادعية يتوسلون فيها ببعض أئمتهم ومشايخهم الذين جعلوهم أرباباً دون الله. ومن أمثلة هذه القداسات: قداس الأذان وهو: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، وجهت وجهي إلى محمد المحمود كالإيسرة المقصود المتقرب بتجلي الصفات وغنى الذات، وفاطر الفطر ذو الجلال، والحسن ذو الكمال، اتبعوا ملة أبيكم إبراهيم الخليل، هو الذي سماكم مسلمين حنيفاً مسلماً، ولا رب إلا ربي شيخنا وهو شيخنا وسيدنا «الحسين حمدان الخصيبي» سفينة النجاة وعين الحياة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، تفلحوا يا مؤمنون، حي على خير العمل بعينه الأجل، الله أكبر، الله أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها، الله مولاي يا علي، أسالك أن تقيمها وتديمها ما دامت السموات والأرض، وتجعل السيد محمد خاتمها، والسيد سلمان زكاتها، والمقداد يمينها، وأيا نر شمالها، نحمد الله بحمد الحامدين، ونشكر الله بشكر الشاكرين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أسالك اللهم مولاي بحق قداس هذا الأذان، وبحق متى وسمعان، والتواريخ والأعوام، بحق يوسف بن من كان، بحق الأحد عشر كوكباً الذين رآهم يوسف بالنام، تحل في دياركم البركة بالتمام، يا مولاي يا علي يا عظيم، وهذا كلام مليء بالشرك والوثنية وتقديس الكواكب والنجوم.

الأيام عند النصيرية:

وللنصيرية أعياد كثيرة في أوقات مختلفة يوافقون فيها المجوس والنصارى، ومن أعيادهم: عيد النيروز وهو من أعياد الفرس، ومثله عيد المهرجان، ومن أعيادهم المشابهة لما في النصرانية: عيد الغطاس، وعيد السعف، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارا، والذي تحتفل به الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية، كما أنهم يحتفلون بعيد الغدير، وعيدي الفطر والأضحى وعاشوراء، ويظهر من احتفالهم بهذه الأعياد تأثرهم بالمجوسية والنصرانية والباطنية.

وقد ذكر «عبد الحسن العسكري» عن احتفالهم بعيد النيروز ذلك فقال: «احتفال النصيرية «بعيد النيروز» يدل على الأثر الفارسي في النصيرية، ويشير إلى تمجيدهم للفرس بدعوى حلول الإله وشخصه في ملوكهم، حتى إنهم جعلوا منهم ثالوثاً نظير ثالوثهم، وهم يدعون الإسلام؛ حيث زعموا أن ثلاثة منهم توارثوا الحكمة، وتجلي الإله فيهم وهم «شروين، وكروين، وكسرى» ويقابلهم في الإسلام النصيري «المعنى والاسم والباب» علي ومحمد وسلمان». [انظر فرق معاصرة ١/ ٤٢٨].

جرأهم النصيريين قديماً وحديثاً:

وفي العصر الحاضر استطاع النصيريون الوصول إلى الحكم في سوريا بدعم من الشيوعيين والقوميين والبعثيين، وانتشروا في المدن السورية، ولهم وجود في سهل عطار شمال لبنان وضواحي مدينة طرابلس، وهناك عدد منهم في تركيا وإيران وتركستان الروسية وكردستان، ولم يترك هؤلاء النصيريون فرصة في القديم والحديث إلا واغتنموها في الوقعة والفتك بأهل السنة والحروب الصليبية شاهدة على ذلك، فمدينة «أنطاكية» ما سقطت في أيدي الصليبيين إلا بفعل الاتفاق الذي تم بين الزعيم النصيري

«الفيروز» وبين قائد الحملة الصليبية «بهمد».

ومن جرائم النصيرية في الماضي ما قام به النصيري «تيمورلنك» في بغداد وحلب والشام عام ٨٢٢هـ، حيث أمن في القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة، ثم أنشأ من رعوس أهل السنة تلة عظيمة، وقد قتل القوات المدافعة عن بغداد من أهل السنة، ثم سافر إلى الشام وأنزل أفضع المصائب، التي لم يُسمع بمثلها، بأهل الشام من أهل السنة، ولم يسلم من إجرام هذا النصيري الحاقد بالشام إلا بعض النصاري الصليبيين.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى شيء من هذا فقال: «ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصاري من جهتهم، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين، فهم مع النصاري على المسلمين، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانتهاز النصاري، بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم أعيالهم إذا استولى - والعياذ بالله تعالى - النصاري على ثغور المسلمين، ثم إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين إلا بمعاونتهم ومؤازرتهم». [مجموع الفتاوى: ٣٥/١٥١، ١٥١].

تاريخ النصيرية يقطر حقداً ودماءً؛

وفي عصرنا الحاضر قام النصيريون بأعمال إجرامية ضد أهل السنة العزل الأبرياء، وأذكر هنا هذه الحقائق على سبيل المثال، في عام ١٩٧٦م رتب الجيش النصيري السوري بالتعاون مع الميليشيات الصليبية المارونية الحاقدة حصار واقحام «تل الزعتر الفلسطيني»، وكان يحتوي على سبعة عشر ألف فلسطيني من أهل السنة، وسلطوا مدافعهم على المخيم حتى دكوه، وفي الوقت ذاته كانت البحرية الإسرائيلية تحاصره من البحر وتطلق القنابل عليه، وكانت نتيجة هذه الأعمال المشتركة بين النصيريين واليهود سنة آلاف قتل من أهل السنة وعدة آلاف من الجرحى وتدمير المخيم بالكامل.

وفي فجر اليوم السابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٨٠م قام حوالي (٢٠٠) عنصر من اللواء (٤٠) واللواء (١٣٨) من سرايا الدفاع التابعة مباشرة للمجرم النصيري «رفعت الأسد» بالانتقال بالطائرات المروحية من دمشق إلى سجن «تدمر» حيث قاموا بإلقاء القنابل على السجناء، وفتح نيران أسلحتهم عليهم وهم في زناناتهم؛ حيث ماتوا عن آخرهم خلال نصف ساعة، ثم قامت بعد ذلك شاحنات كبيرة بنقل جثث القتلى ورميها في حفرة أعدت مسبقاً لرمي الجثث في شرق بلدة «تدمر»، وقد راح ضحية هذه المجزرة الشنيعة أكثر من سبع مائة شاب مسلم!!

وقد ناقشت لجنة حقوق الإنسان التابعة لمنظمة الأمم المتحدة وقائع هذه المجزرة في مدينة «جنيف» في دورتها السابعة والثلاثين، وقد عرضت على اللجنة وثيقة حول هذه المجزرة برقم (٤/١٤٦٩) بتاريخ ١٩٨١/٣/٤م.

أما ما وقع في مدينة حماة عام ١٩٨٢م، فقد هز كل مسلم صادق، حيث حاصر النصيريون بقواتهم المختلفة مدينة حماة، وقاموا بعمل حزامين حولها، وقد أدى ذلك إلى عزلها عن بقية المدن السورية، وسد جميع المنافذ والطرق المؤدية إليها، وتم قطع الماء والكهرباء عنها إضافة إلى المؤن الغذائية والإسعافات الأولية، وقد بدأت القوات النصيرية بعد ذلك بقصف المدينة قصفاً مركزاً شديداً، بينما كانت وحدات المشاة تقوم باقتحام الأحياء السكنية ومداومة المنازل وقتل من فيها، وقد أدت هذه الأفعال إلى تدمير كثير من المساجد والأسواق التجارية والأحياء السكنية، بل والمقابر، وقد أسفرت هذه الجريمة عن قتل ما يربو عن أربعين ألفاً من أهل السنة، واعتقال «خمسة عشر ألفاً» آخرين، كما نزع الكثير منهم إلى البلاد المجاورة، وقد التقيت ببعضهم في المدينة النبوية، وسمعت أشياء يندى لها الجبين، قام بها هؤلاء المجرمون.

**من ضلالت
النصيرية الفاسدة؛
أنهم يسقطون
التكاليف عن
مشايخهم الذين
يصلون إلى درجة
الأصطفاء تلك
المنزلة التي
يعتبرونها فوق
درجة النبيين،
وفوقها درجة أخرى
أعلى منها وهي
درجة الحجاب،
فمن وصل منهم
إلى هذه الدرجات
كما يزعمون أصبح
حرّاً وسقطت عنه
التكاليف .**



وإن ما يجري على أرض «سوريا» الآن برأى ومسمع من المعالم دون خجل أو حياء يدل على مدى عداوة هؤلاء للمسلمين، فهم اليوم يرتكبون أفظع الجرائم ضد الشعب السني المسلم. والأمر لا يحتاج إلى تعليق، غير أنني -وعبر هذه المجلة المباركة- أناشد المسلمين في أقطار الدنيا حكاماً ومحكومين بتقوى الله تعالى، ومناصرة إخواننا هناك، ومديد العون لهم، ورفع الأكلف بالدعاء والضراعة؛ لأن المأساة عظيمة والوضع خطير، وقد شاهدت ذلك بنفسي أثناء زيارتي للأردن في الشهر الماضي، وذهبت إلى بعض معسكرات اللاجئين وسمعت منهم العجب، وقد لمست مواقف مشرفة تسجل للمؤسسات الرسمية الأردنية والجمعيات الخيرية، كما أنني أحيى موقف سماحة العلامة قاضي قضاة الأردن الأستاذ الدكتور «أحمد خليل»، الذي قال في هذه الأزمة ما يلي: «إن ما يجري لأهلنا وإخواننا في سوريا هو وصمة عار في جبين الأمة العربية والإسلامية، وهو حرب طائفية بغیضة كشرت عن أنيابها، وإنها جرائم حرب ضد شعب أعزل لا يملك حولاً ولا قوة، أمام فاشية حاقدة طاغية، وزمرة ظالمة باغية، قتلت الشرفاء الأحرار، وروعت وذهبت الأطفال الأطهار، واغتصبت المؤمنات الحرائر الأبرار، هدمت المساجد، ودمرت وأحرقت البيوت على أصحابها، هجرت وشردت، كوارث وفواجع تقض المضاجع لتلقي بظلالها مَرُّ المواجه، أمانة في أعناق الأمة كلها، حكاماً ومحكومين، شعوباً وقيادات أن تبادر بمواقف صادقة مخلصه، عاجلة غير آجلة، دون مباطلة أو إبطاء لوقف هذا الظلم والعدوان من الفئة الباغية التي لا ترقب في مؤمن ولا مؤمنة إلا ولا ذمة». وقد أجاب أستاذي العلامة الشيخ عبد المحسن العباد إمام المسجد النبوي عندما سُئل في درسه في المسجد النبوي بتاريخ ١٨/٤/١٤٣٣هـ عن التبرع لأهل سوريا وهل جهادهم في سبيل الله؟ فقال: «يرجى أن يكون في سبيل الله، يرجى أن يكون في سبيل الله، والتبرع من أجل الإحسان إليهم، وما يسدون به رمقهم، وما يستفيدون منه لا شك أنه من الأعمال الطيبة، ونسال الله عز وجل أن يوفقهم لكل خير، وأن يكفيهم كل شر، وأن يوفقهم ليحصلوا على ما يريدون من حصول الاستقامة، والبعد والسلامة من الدول التي ألحقت الضرر بهم، وأن يكون سلامتهم منها على خير في دينهم وديناهم».

وقد سبق الجميع إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في فضل جهاد هؤلاء: «ولا ريب أن جهاد هؤلاء، وإقامة الحدود عليهم، من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة بدعواً بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين، وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه، وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة إظهار الدين، وحفظ رأس المال مقدم على الربح، ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين، والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر والثواب ما لا يعلمه إلا الله». [مجموع الفتاوى ج٥/١٥٨، ١٥٩].

وبعد؛ فهذه كلمات لهؤلاء الأئمة الأعلام أجدد بها الدعوة إلى نصره إخواننا على البغاة المعتدين والظلمة الأثمين، أسأل الله عز وجل أن يهلكهم ويقضي عليهم، وعندئذ سنفرح بنصر الله، ونردد قوله تعالى: «فَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الأنعام: ٤٥].

وعساه أن يكون قريباً. والحمد لله رب العالمين.

في عصرنا الحاضر
قام النصيريون
بأعمال إجرامية ضد
أهل السنة العزل
الأبرياء؛ فقد قام
الجيش السوري منذ
السبعينيات بالتعاون
مع الميلشيات المارونية
الصليبية الحاقدة
بحصار واقتحام تل
الزعر الفلسطيني،
ومجزرة حماة السورية
في ١٩٨٢م، وما يجري
اليوم على أرض سوريا
يشهد على جرمهم في
حق أهل السنة.



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا

نبي بعده:

أما بعد: قال الله تعالى: «وَلْيَصْرِحِ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [الحج: ٤٠-٤١].

إن الحكم في الإسلام تكليف لا تشريف، ووسيلة لا غاية.

أما كونه تكليفاً لا تشريفاً فقد دلت عليه الأحاديث الكثيرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُخَرَّصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَذَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَعَمُ الْمَرْضُوعَةُ وَيُسْتَسْتَفَاطِمَةُ». [البخاري: ٧١٤٨].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزْيٌ وَنَذَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» [مسلم: ١٨٢٥].

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». [البخاري: ٧٠٩٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا لَا يَفْكَهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُؤْبَقَهُ الْجَوْرُ». [صحيح الجامع: ٥٥٧١].

وأما كونه وسيلة لا غاية فهو وسيلة فعالة إلى مقاصد معينة، يستطيع الحاكم تحقيقها؛ لما للحاكم من سلطان يستطيع به تنفيذ ما يعجز عنه أحاد المسلمين، فيختصر الطريق، ويبلغ الأهداف، ويحقق المقاصد، وهي بعض مقاصد الإسلام.

فما هي مقاصد الحكم الإسلامي؟

يقول الفقهاء في تعريفهم للإمامة -أي: الخلافة-: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به».

فهذا التعريف يؤكد على وظائف الخلافة، أي: مقاصد الحكم، ويَجْمَلُهَا في مقصدين كبيرين، الأول: حراسة الدين، والثاني: سياسة الدنيا به.

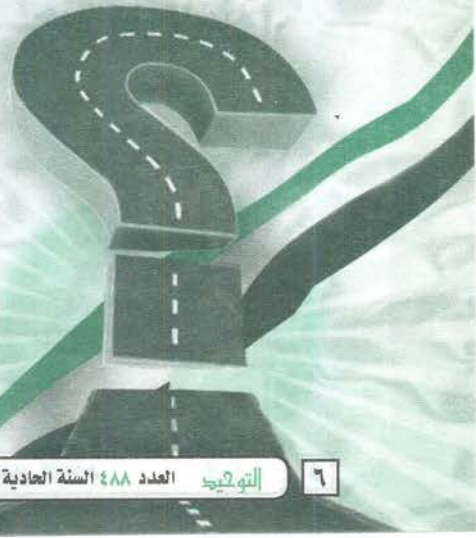
معاني حراسة الدين:

أما حراسة الدين فهي تعني شيئين: هما حفظه، وتنفيذه.

وحفظ الإسلام يعني: إبقاء حقائقه ومعانيه، ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار عليها صحابته الكرام، ونقلوها إلى الناس من بعده. فإن الله تعالى لم يقبض نبيه صلى الله عليه وسلم حتى أنزل عليه قوله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

ماذا نريد من رئيس الدولة؟

إعداد / د. عبد العظيم بدوي



لَكُمْ دِينُكُمْ وَأُتِمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»
[المائدة: ٣].

وعلى هذا لا يجوز أي تبديل أو تحريف في دين الله عز وجل؛ لأن التحريف والتبديل يدخلان في نطاق الابتداع المذموم، ولا يجوز الفرء أبداً في منع التبديل والتحريف بحجة حق الفرد في إبداء الرأي وحرية الفكر والاجتهاد؛ لأن الفرد إن كان مسلماً فليس من حقه أن يبدل دين الله، وإذا اختار لنفسه الضلالة ولعقيده الفساد فليس من حقه أبداً أن يخرج على نظام دار الإسلام ويشوه حقائق الإسلام، وقد أشار الفقهاء إلى ما ذكرناه، فقالوا: إن على الإمام حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن رآه ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

ومن لوازم حفظ الدين: تحصين الثغور
بالعدة المانعة والقوة الدافعة: حتى لا تظفر الأعداء
بغرة ينهكون فيها محرماً، ويسفكون فيها مسلم
أو معاهداً دماً.

منها: تطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع الدولة، وفي علاقة الدولة مع غيرها من الدول.

ومنها: إزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع
كما يقضى به الإسلام؛ إذ لا يمكن الادعاء بحفظ

الذين مع ترك المفسد والمنكرات بلا إلتكاف ولا إزالة مع توفر القدرة على ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المقصد من مقاصد الحكم الإسلامي، قال تعالى: « الَّذِينَ إِنْ تَكُنْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ » [الحج: ٤١].

وأما المقصد الثاني وهو سياسة الدنيا بالدين، فمعناه إدارة شئون الدولة والرفعية وفقاً لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقاً لقواعد الاجتهاد السليم. فهذه هي السياسة الشرعية لأمر الدنيا بالدين.

١- أن يعمل الإمام على جمع الكلمة، وتوحيد صف المسلمين، حتى يكونوا أمة واحدة كما أمر الله تعالى، والنصوص الدالة على ضرورة ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها قوله تعالى: «وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا» [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تبارك وتعالى: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: ١٠٥]، وقوله سبحانه وتعالى: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُتَفَرِّقِينَ» (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَقُونَ» [الروم: ٣١-٣٢].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«نَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ
بِئَرٍ تَوَادَّهَا وَتَرَاحُمُهَا وَتَعَاطَفُهَا مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا
شَبَكَ مِنْهُ عُضْوٌ نَدَّاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ
الْحَمِيِّ» [البخاري: 6٠١١].

وكان صلى الله عليه وسلم يكره التفريق
بحاربه في أدنى صورة: فعن جابر بن سمرّة
رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرأنا خلقاً فقال: «ما لي أراكم عزين؟»
قال: ثم خرج علينا فقال: «ألا تصفون كما تصف
الملائكة عند ربّها؟» قلنا: يا رسول الله وكيف
صف الملائكة عند ربّها؟ قال: «يؤمنون الصّوف
الأول ويترصّون في الصّف» [مسلم: ٤٣٠].

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ظلمه في شيء، فمن الظلم تكليفه بما لا يجب عليه شرعاً، أو أخذ ماله بغير وجه، أو منعه ما يستحق، وهذا ما أشار إليه الفقهاء، وقد وضح العلامة ابن خلدون الظلم الممنوع فقال: «ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد ماله من غير عوض ولا سبب، كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك، وكل من أخذ ملك أحد، أو غصبه في عمله، أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجبابة الأموال بغير حقها ظلم، والمنتهبون لها ظلمة، والممانعون لحقوق الناس ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران».

اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء:

وعلى هذا يجب على الرئيس أن يقوم بما يلزم لتحقيق العدل ومنع الظلم، وأول ما يلزمه في هذا الباب: اختيار الموظفين الأكفاء والأمناء، والثاني: مراقبتهم.

أما اختيار الموظفين الأكفاء، فهذا شيء ضروري؛ لأن الخليفة لا يمكنه أن يباشر أمور الناس بنفسه؛ لأن ذلك فوق طاقته، بل ويستحيل عليه حتى لو أَرَادَهُ، وإنما يباشر أمور الناس بواسطة نوابه، أي: الموظفين الذين يختارهم، فعليه أن يتخير الكفاء الأمين، ومرد الكفاءة إلى القدرة على ما ينولاه، ومرد الأمناء عدم التفريط بشئون ما وُلي عليه من أمور، وقد أشار القرآن الكريم إلى قانون تولي الأمور الواجب مراعاته من كل حاكم وولي أمر، قال تعالى: ﴿لَكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينِ﴾ [القصص: ٢٦]، فإذا وُفِّق الخليفة إلى حسن اختيار الموظفين الأكفاء الأمناء حكموا بالعدل، وحفظوا حقوق الناس ومنعوا عنهم الظلم، وشعر الناس بالأمن والأمان والاطمئنان، وانكمش أولو الإطماع وأهل البغي، ولم يستطع قوي أن يتعدي على ضعيف؛ لأن الدولة أقوى منه، ولم يخش الضعيف المحق من عدوان القوي؛ لأن الدولة مع المحق وإن كان ضعيفاً، وهذا كله يؤدي إلى كسب قلوب الناس وربطهم بالدولة وتعليقهم بالإمام، فيزداد حرصهم على بقاء دولتهم واستعدادهم للذود عنها؛ لأنها في نظرهم كالبית لهم، وكالحارس لحقوقهم.

أما إذا عيّن الخليفة الموظفين العاجزين والفاستدين والخائنين، فإن الناس سيكتون بنار فسادهم وخيانتهم، ويقعون تحت ظلمهم وبغيهم، مما يضعف الدولة والولاء لها، ويزهدهم في الدفاع عنها، وتكون النتيجة أن يثوروا على هذا الرئيس الذي ابتلاهم بهؤلاء الموظفين الذين ظلّمهم، ويخلعوه من الحكم كما حدث للنظام البائد. ولهذا كله يجب الاهتمام الكامل باختيار الموظفين الأكفاء الأمناء، وبدون ذلك يقع المحذور الذي أشرنا إليه.

قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزَلاً تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ»، فَلَمْ يَنْزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزَلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بَسَطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعُمُّهُمْ. [أبو داود: ٢٦١١ وصححه الألباني].

فإن وفق الإمام لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم، فقد وضع قدمه على طريق الإصلاح، ووفق لكل ما هو مطلوب منه بعد ذلك، فإنما هو بإخوانه، فإن جمعهم حوله، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، كانوا عوناً له على ما يَريدُ منه، وإن نأى بنفسه عن إخوانه، أو ركن إلى البعض دون البعض، أو قرب البعض وأقصى البعض، فلن يستطيع أن يقوم بمهامه، ولا أن يحقق ما يَريدُ منه.

العدل أساس الملك:

ب- أن يعمل الإمام على إقامة العدل بين الناس؛ لأنه هو الأساس الذي لا قيام لدولة بدونه، ولا بقاء لأمة بفقده:

قال الله تعالى: ﴿يَذْكُرُوا أَنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ﴾ [ص: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء: ٥٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَاغْدِلُوا». [صحيح الجامع: ٥٠٨].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَكُنَّا يَمِينُ يَمِينٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ». [مسلم: ١٨٢٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشِيرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً لَا يَفْكَهُ إِلَّا الْعَدْلُ أَوْ يُؤَبِّقَهُ الْجَوْرُ». [صحيح الجامع: ٥٥٧١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسُ إِمَامٍ عَادِلٍ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسُ إِمَامٍ جَائِرٍ». [الترمذي: ١٣٤٤].

ولهذا كان من صفة عقد البيعة للإمام أن يقال فيها: بايعناك بيعة رضا على إقامة العدل والإنصاف، والقيام بفروض الإمامة. والعدل يتضمن إعطاء كل إنسان حقه وعدم

فيه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «حَدُّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا».[صحيح ابن ماجة: ٢٠٥٧].

ضرورة تهئية ما يحتاجه الناس:

د- ومن مظاهر سياسة الدنيا بالدين: قيام الحكم الإسلامي بتهيئة ما يحتاجه الناس من مختلف الصناعات والجرف والعلوم، فهذه من فروض الكفاية التي يجب وجودها في الأمة لسد حاجاتها.

ومن الواضح أن الصنائع المحتاج إليها تختلف باختلاف العصور والأزمان، فما كان الناس يحتاجون إليه في الأمس قد يحتاجون إلى غيره اليوم، فعلى الحكم الإسلامي ملاحظة ذلك وتهيئة وسائله، وبذلك يوفر فرص العمل للشباب، ويقضي على البطالة التي تفشت فيهم، فإذا وجد الشباب عملاً يستغرق أوقاتهم، ويستنفد طاقتهم، كانوا عوامل بناء وإصلاح في مجتمعهم، ونهضوا بوطنهم، وحققوا لأمتهم ما تريده منهم.

هـ- ومن مظاهر سياسية الدنيا بالدين: استثمار خيرات البلاد بما يحقق للرعية التقدم الاقتصادي والعيش الكريم، وقد أشار الفقهاء إلى هذا الواجب، فقد قال الفقيه المشهور أبو يوسف في كتابه القيم «الخراج» الذي وجهه إلى الخليفة هارون الرشيد: «إن على الخليفة أن يأمر بحفر الأنهار وإجراء الماء فيها، وتحميل بيت المال وحده نفقات ذلك». وفي البلاد بفضل الله من الخيرات ما لو أحسن استغلاله لم يبق في البلد فقير. فعندنا أرض واسعة صالحة للزراعة بفضل الله، والإسلام يدعو إلى استصلاح الأرض وزراعتها: فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ».[صحيح الترمذي: ١٣٧٩].

فلو قام الرئيس بتوزيع الأرض على الشباب، وكلفهم بزراعتها، وأوصل لهم الماء اللازم لذلك، واشترط عليهم استصلاحها في زمن معلوم، وإلا استردت ممن يقصر لتسابق الشباب إلى عمارة الأرض وزراعتها، ولصار عندنا فائض من المحاصيل الزراعية التي تصدر للبلاد الخارجية، وتدخل على بلادنا يستغل فيما تحتاجه البلاد، وبذلك يرتفع دخل المواطن، وتحقق له الحياة الحرة الكريمة.

هذا ما نريده من رئيس البلاد، وهذه هي واجباته التي كلفه الشرع بها، فهل يستجيب، ويستعين بالله على العمل؟ نرجو الله.

والله نسأل أن يولي أمورنا خيارنا، وأن يستعمل علينا من يحكم في الأمة بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

ولا يكفي أن يعين الخليفة الأكفاء الأمناء، بل عليه أيضاً أن يراقبهم في أعمالهم، فقد يخون الأمين ويغش الناصح كما يقول الفقهاء، وحتى إذا استبعدنا خيانتهم وغشهم، فلا يمكننا استبعاد خطئهم، وظلم الناس خطأ ظلم الناس عمداً من جهة لحوق الضرر بالمظلوم وكرهه للظلم، فلا بد من المراقبة المستمرة والمحاسبة الدائمة للموظفين، حتى لا تقع خيانة ولا غش، ويقل الخطأ، ويعرف الناس شدة حرص الخليفة على العدل ومنع الظلم، ويخرج هو من عهدة الخلافة ومسئولية الحكم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَةُ رَاعٍ، وَكَلِمَةُ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [صحيح سبق تخريجه].

أهمية إشاعة الأمن والاستقرار في دار الإسلام:

ج- ومن واجبات الخليفة المهمة، ومن واجبات الحكام المسلمين جميعاً، إشاعة الأمن والاستقرار في دار الإسلام، حتى يامن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وينتقلوا في دار الإسلام آمنين مطمئنين.

وهذا المقصود يتحقق بصورة كاملة بتطبيق القانون الإسلامي الجنائي، أي: بتطبيق العقوبات الشرعية على العاصين في الأمن، المعتدين على الناس، بشرط أن يكون التطبيق عادلاً وعلى الجميع بلا محاباة ولا تردد، فإذا ما طبقت الأحكام الشرعية على المعتدين آمن الناس وخاف المجرم، وتحقق الاطمئنان، فإن الناس قسمان: قسم يخاف الله، وقسم لا يخاف الله، فالأول يمنعه الخوف من الله من الفساد بالارض بأي نوع من أنواع الفساد، كما امتنع صالح ابني آدم عن قتل أخيه، وقد قال له: «لَأَنْتَ نَسَكٌ قَالَ إِنَّمَا يَقُولُ اللَّهُ مِنِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ لَنْ نَبْطِئَ إِلَيْكَ بِذَلِكَ لَنَمُوتَنِي مَا أَنَا بِأَسِطِرَ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ» [المائدة: ٢٧-٢٨].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم: «وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» [البخاري: ٦٦٠].

فالذي يخاف الله لا يخافه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. والذي لا يخاف الله يسعى في الأرض فساداً، فلا بد من رده ومنعه بإقامة الحدود عليه، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وقد قال الله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ١٧٩]، وأمر سبحانه وتعالى بحضور جماعة من المؤمنين جلد الزناة؛ ليكون في إشباهه زجر لغيره، فقال تعالى: «الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَلَىٰ كُلِّ بَاطِلَةٍ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» [النور: ٢]، فإقامة الحدود تمنع المحدود من العود، وتمنع غيره من الوقوع في مثل ما وقع



منبر الحرمين

في الإجازة

عمل

وإنجاز

فضيلة الشيخ

إبراهيم بن محمد الحقييل

إمام مسجد فهد المقييل بالرياض

الحمد لله العليم القدير: «جَعَلَ
الْبَلَّ وَالْهَارَ خَلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَرَ» أَوْ أَرَادَ
شُكْرًا [الفرقان: ٦٢] نحمده على نعمه
وآلائه، ونشكره على فضله وإحسانه،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له؛ جعل الدنيا دار عمل، وجعل الموت
نهاية العمل؛ ليُجزى كل عامل بما عمل
«وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» ﴿١٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَى [النجم: ٤٠-٤١].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛
حذر أمته من الغرور بالدنيا ومتاعها،
وبين لهم حقيقتها، وكشف لهم حقارتها،
وأظهر خوفه عليهم منها، وأقسم قائلا:
«فَوَ اللَّهُ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي
أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا
بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا
كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ»
صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه،
واعمروا أوقاتكم بطاعته عز وجل؛ فكل
وقت يمر بالعبد ليس له فيه طاعة فهو
عليه خسارة، والمفرطون في الدنيا من أهل
النار يتمنون العودة إليها حين مفارقتها
لا لأجل متاعها وعمرانها، ولا لأجل المال
والولد؛ وإنما لأجل العمل الصالح، حين
عابنوا أهميته حال احتضارهم «حَوَّجَ إِذَا
جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعْنِي ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ
صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

بداية الإجازة الصيفية

أيها الناس: تدور بنا الليالي والأيام
ونحن لا نشعر، وتقربنا من أجالنا وكثير
منا في غفلة.. يرقب الناس بداية العام

فينتصف وينتهي سريعاً، وهامهم أولاد المسلمين يبدؤون إجازتهم بعد أشهر مرت كلمح البصر.. وهي فراغ كبير يكون نعمة لشباب وفتيات، ونقمة على آخرين منهم.

الفراغ في حياة المؤمن

والمؤمن الحق لا فراغ عنده، بل هو في شغل دائم ما دام في الدنيا، وفترة شغله الذهبية هي فترة الشباب، والله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله «إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ» [الشرح: ٧-٨]، أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين. فالمعنى: إذا أتممت عملاً من مهام الأعمال فاقبل على عمل آخر بحيث تعمّر أوقاتك، ولا يبقى فراغ في حياتك. قال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: «لو تفرغت لنا، فقال عمر: واين الفراغ؟ ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى».

ولو نظرنا في أحوال الصالحين من أسلافنا لوجدنا أنهم فهموا هذه الآية، وحققوا مقصدها، وعملوا بمقتضاها؛ فهم في انتقال من عمل إلى آخر. وعند فراغهم من واجبات معاشهم يشتغلون في بناء آخرتهم، وعند قضاء عمل صالح ينتقلون منه إلى آخر، فلا يبقى في حياتهم فراغ ولا بطالة، ويؤدون كل وظيفة في وقتها فلا تأجيل ولا تسويف حتى لا تتراكم الأعمال ويعسر إنجازها، أو تنجز بلا إتقان.

وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه على الناس قال له: «إني موصيك بوصية إن أنت حفظتها: إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة». فهذا قانون

في العمل يستوعب الوقت، ولا يدع مجالا لفراغ، ويؤدي إلى الانضباط والإتقان، والصحابة رضي الله عنهم أنجزوا من الأعمال والفتوح وتبليغ العلم ونشر الإسلام وبناء الدولة في سنوات قلائل ما لم ينجزه غيرهم، ولهم في كل ميدان أعمال، وفي كل مجال إنجاز، حتى طغت أعمالهم ومنجزاتهم على سنوات أعمارهم.

ومن يصدق أن أبا بكر ما تولى الخلافة إلا سنتين، فكسر فيها المرتدين في أنحاء الجزيرة، وجمع القرآن، وناوش الفرس والرومان، وثبت أركان الدولة، وقضى على النفاق والردة، كل ذلك في سنتين فقط، وهكذا من بعده من الخلفاء، ومن سائر الصحابة رضي الله عنهم، نقرأ سيرهم فنجد إنجازات كبرى، وإنتاجاً غزيراً مع أن أعمارهم في الإسلام قليلة؛ لأنهم بذلوا أعمارهم وأوقاتهم لله تعالى، فلا فراغ لديهم أبداً، فبورك لهم في أوقاتهم وأعمالهم حتى فاقت منجزاتهم أعمارهم.

من أسباب الإنجاز والإنتاج

وكل من حذف فكرة الفراغ من رأسه، وشغل نفسه بما ينفعه؛ كان له من الإنجاز والإنتاج ما يسره، وكأنها سنة مضطردة حتى مع الكفار، فمنهم من كان له إنتاج كثير جداً، لا يقدر عليه الجماعة من الناس، ولو قرئت سيرهم لكان القاسم المشترك فيها أنه لا فراغ عندهم، ولا تضيق للوقت فيما لا نفع فيه.

علو الهمة عند السلف

ولقد كان الصغار من أبناء أسلافنا يناطحون الكبار في همهم، ويتطلعون إلى تبوء منازلهم، ولا يحقرون في المعالي أنفسهم، ويشغلون فراغهم فيما ينفعهم، ومن ذلك ما روى البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ

الله تعالى: "كُنْتُ آتِي نَافِعًا، وَأَنَا غَلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ...فَيُنْزَلُ مِنْ دَرَجِهِ، فَيَقِفُ مَعِيَ، وَيُحَدِّثُنِي، وَكَأَنَّ يَجْلِسُ بَعْدَ الصُّبْحِ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَا يَكَادُ يَأْتِيهِ أَحَدٌ". إنه لم يسلك جادة أقرانه، واختص بنافع وحده، فحين زهد الطلبة فيه لازمه هو، وأين ذكر أقرانه؟! وذكر مالك قد ملأ ما بين الخافقين، ومذهبه في الفقه والفتيا بلغ المشرقين.

فالجِد والاجتهاد والإنتاج يكون أكثر في مرحلة الشباب، ولكن لا يكون إلا لمن أخرج فكرة الفراغ من عقله، وشغل نفسه بما ينفعه من أمور دينه ودنياه، قالت حفصة بنت سيرين رحمها الله تعالى: "يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب؛ فإنني والله ما رأيت العمل إلا في الشباب". وهي وصية جربتها هذه المرأة الصالحة، ووعاها الكهول والشيخوخ، ولكن أكثر شباب اليوم وفتياتهم في غفلة عنها؛ فأوقاتهم تضيع هدرًا، وأعمارهم تذهب سدى، ولم يحققوا شيئًا يستحق ما عاشوه من أعمار ينفع أمتهم، ويخلد ذكركم، ويرثه من بعدهم، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر، والعلماء كذلك لم يورثوا للأمة مالًا، وإنما ورثوا العلم، وإنما ورث المال تجار الأمة وأثريائها وملوكها، فذهب المال، واندرس ذكر أهلها، وبقي العلم وبقي ذكر أهلها، سواء كان علمًا دنيويًا انتفع به الناس، أو كان علمًا أخرويًا وهو الأفضل.

أعظم مشكلة تواجه الآباء

والأمهات في الإجازة الصيفية

إن أعظم مشكلة تواجه الآباء والأمهات مع أولادهم هي أيام الإجازات حيث العطالة والبطالة، فلا محاضن تربوية مغرية تستوعبهم، وتشغل أوقات فراغهم، ولا مؤسسات ربحية تشغلهم وتدرّبهم وتشجعهم، حتى الأحياء السكنية لا يوجد

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقصونها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديثُ السنِّ، وبَيَّتِي الْمَسْجِدَ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتُ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ... وقد رأى رؤيا كانت سببًا في محافظته على قيام الليل، والشاهد هنا: أنه كان يقبس نفسه بالكبار، ويزري بها لما لم تصل إلى ما وصلوا إليه، حتى بلغ مناه، ورأى ما يرون.

وفي شباب التابعين عروة بن الزبير رضي الله عنهما، الذي صار من كبار فقهاء المدينة، وما نال الفقه والعلم إلا بشغل فراغه بما ينفعه، وجانب ما لا نفع فيه، وكان يجيل فكره في آيات القرآن يستخرج العلم والفقه منها، ويسأل عما أشكل عليه يقول رحمه الله تعالى قلت: «لِعَائِشَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا يُؤْمِزُ حَدِيثُ السِّنِّ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِنَّ أَصَمًّا وَالْمَرْءَ مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا» [البقرة: ١٥٨] فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَلَّا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ، كَانَتْ: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا... " الحديث.

فاستشكل معنى الآية وهو حدث صغير، ولولا تدبره للقرآن، واشتغاله بما فيه من الفقه لما استشكل ذلك، فلا عجب أن يكون بعد ذلك من كبار الأئمة في الفقه؛ لأنه شغل صباه وشبابه في العلم.

ومن أتباع التابعين الإمام المشهور مالك صاحب المذهب، وما كان له أن يكون إمامًا لو أضع مقبّل عمره، وسنوات شبابه في الفراغ والبطالة، قال رحمه

فيها ما يستوعب شباب الحي فيما ينفعهم إلا جهودا تطوعية اختيارية، ضعيفة القدرات والإمكانات، لا تستوعب إلا القليل منهم.

الاستثمار في الإنسان

إن أعظم استثمار تستثمره أمة من الأمم هو الاستثمار في الإنسان ببنائه وتعليمه وتأهيله، والأمم المتقدمة في الصناعة ما تقدمت إلا ببناء الإنسان بناء صحيحا، وأفضل مرحلة للاستثمار في الإنسان هي مرحلة الشباب؛ حيث القوة والذكاء والإقدام.

إن للشباب إقداما ومواهب إذا ما صرفت فيما ينفع صرفها الشباب فيما يضرهم ويؤذي أمتهم، والظواهر السيئة التي نراها من الشباب هي تعبير عن المواهب والإقدام ولكن بطريقة غير صحيحة..

إن ما نراه من تجمعات الشباب ولعبهم بسياراتهم، وتعريض أنفسهم وغيرهم لأخطار الموت والإعاقة، وما نراه من تسكعهم في الأسواق، وتجمعهم في المطاعم والمقاهي، وإحياء الليل بسهر على لهو ومحرمات، وغير ذلك من الظواهر السيئة، ما هو إلا طاقات تتفجر عند الشباب، ومواهب لم تجد مصرفا صحيحا تتوجه إليه، فتوجهت إلى ما يضرهم، ويؤذي مجتمعهم.

الفراغ داء قاتل

إن الفراغ قاتل لأصحابه، وإن تهميش الشباب عن أدوارهم في الحياة، والحيلولة بينهم وبين مهماتهم اللائقة بهم أفرز جيلا من الشباب والفتيات كثير الضجر والملل، دائم الشكوى والتأفف، لا ينفك عن طلب الترفيه والإسراف؛ لطرد الملل والسأم، ولم يستطع ذلك رغم ما يمتلكه من وسائل الراحة والرفاهية.. تراه إن خرج من بيت

أهله أصابه الملل، وإن عاد إليه صاحبه الضجر، لا يدري ماذا يريد؟ وسبب ذلك عجزه عن إنجاز أي شيء، وإحساسه أنه مجرد رقم في البشر، لا أثر له عند أهله ولا مجتمعه ولا أمته.. هذا الإحساس القاتل هو الذي أفرز جنون الشباب فعبروا عنه بما تروونه من أذية أنفسهم وأذية الآخرين.

إنكم ترون عمال البناء يعملون أعمالاً شاقة تحت الشمس اللافحة والحر الشديد، والواحد منهم يترنم بأنشودة وهو يعمل، ولا يصيبه الضجر والملل رغم بعده عن أهله وذويه؛ لأنه لا فراغ لديه للملل والسأم، ويحس بطعم الحياة؛ لأنه ينجز شيئا لنفسه وأهله. بينما الفراغ من شبابنا يمل من كل شيء، ويرى هؤلاء العمال فيرحمهم وهو أولى بالرحمة منهم فهم في شغل وإنجاز وسعادة، وهو في فراغ قاتل يفتك به. وليعلم كل شاب أنه حين يجد نفسه في فراغ فليستعد للهم والغم وأنواع الأمراض النفسية؛ فالفراغ يجعل الإنسان لا شيء، وينقله من ميادين الأعمال إلى مخادع الأوهام والأحلام، ومن الإنجاز والإنتاج إلى العطالة والبطالة..

هذا الفراغ الذي هو مع الصحة نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، وهما سبب العمل والإنتاج، ينقلبان إلى سلاحين فتاكين، يفتكان بالأفراد والأمم إذا لم يستثمرا استثمارا صحيحا.

فيا أيها الشباب: إن قصر المجتمع عن احتضانكم، ولم يوجد لكم من الأعمال ما يناسبكم، فلا تستسلموا لنزواتكم، وابحثوا عما ينفعكم بأنفسكم؛ فإن مجتمعنا لم يأبه باحتياجاتكم لن يأسى على ما يصيبكم بسبب فراغكم «فَإِنَّا قَرَعْنَا قَارِصًا ۖ وَرَأَىٰ رَيْكَ فَاَرْغَبَ» [الشرح: ٧-٨].

نسال الله الهداية والتوفيق.



ليلة النصف من شعبان وحكم الاحتفال بها

فتحي أمين عثمان

إعداد /

السنن، كما أن الحدث الذي يبني عليه الاعتقاد والعمل أولى بالعناية من تحديد تاريخه.

٢- إن إحياء ما كتبه أهل العلم سابقاً فيه فوائد كثيرة، فهو مثوبة لعالم قضى نحبه، وجمع المسلمين المعاصرين مع السابقين، وتثبيت شبان لا يزالون في أول الطريق.

يقول الشيخ خليل هراس في مقال له في مجلة الهدي النبوي (عدد ٨ لسنة ١٣٨٦ هـ مجلد ٣١): «كان صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة يصلي مستقبلاً الكعبة بيت الله الحرام، وقيل: إنه كان مع ذلك يستقبل صخرة بيت المقدس، فكان يصلي بين الركنين اليمانيين، لتقع صلاته إلى القبلتين معاً، فلما هاجر إلى المدينة تعذر عليه ذلك، فأمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس تأليفاً لليهود من سكان المدينة؛ لعلمهم إذا رأوه يصلي إلى قبلتهم، حملهم ذلك على الإنصاف والإذعان للحق، وترك ما هم عليه من الجحود والمكابرة، فصلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً؛ وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ووقع تحويل القبلة في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، فتكون المدة التي قضاه في التوجه إلى بيت المقدس هي سنة وأربعة أشهر أو خمسة، في حين يذكر الشيخ أبو الوفاء درويش في كتابه «القبلة» أن تحويل القبلة كان ليلة النصف من شعبان.

نقل الإمام القرطبي عن أبي حاتم البستي قال: «صلى المسلمون إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام، وذلك أن قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كان يوم الاثنين لاثنتي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن من ثوابت الإسلام: أن يُعبد الله وحده، وأن نعبد بما شرع، لا بما يشرع الناس بأهوائهم، «فَمَنْ كَانَ رِجْوَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠].

ولقد تعرض الإسلام للبدع ومحدثات الأمور في العقائد والعبادات وغيرها، وكان ذلك بتخطيط ماكر نسجته عنكب الملل الضالة، وذهب الماكرون وجاء دور المقلدين الغافلين.

ومن المتفق عليه عند أهل العلم والفقه بالدين: أن البدع النابتة تنسي الكثير من السنن، فما يفعله بعض الناس في المواسم طغى على ما وقع فيها من أحداث مهمة من أمور الإسلام، ولقد كان من بين ما أحاطه الناس بالبدع والخرافات ليلة النصف من شعبان، ومما يورث الحسرة أنهم يعضون على تلك البدع بالنواجذ، ويرون الدعوة إلى إعادتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم شيئاً غريباً.

ومن ذلك اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ليلة ذات عبادات مخصوصة، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر والعبادة والدعاء وقراءة القرآن مشروع ومطلوب، وتبع ذلك أن ابتدع لهم في إحيائها نظام خاص، فهم يجتمعون في المسجد عقب صلاة المغرب ويصلون صلاة خاصة باسم «صلاة النصف من شعبان».

يقول الشيخ صفوت نور الدين الرئيس العام السابق، رحمه الله:

١- إن البدع الثابتة تنسي الكثير من

عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأمره الله عز وجل باستقبال الكعبة يوم الثلاثاء للنصف الأول من شعبان». اهـ.

سريان الأمر بالتحويل

وما يستفاد من ذلك

جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة؛ فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام، فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.

ويذكر الشيخ خليل هراس أن العلامة ابن دقيق العيد ذكر في شرحه على «عمدة الأحكام» جملة من الأحكام الأصولية والفرعية عند الكلام على حديث ابن عمر المتقدم، وهي:

١- قبول خبر الواحد، وعادة الصحابة في ذلك اعتداد بعضهم بنقل البعض، وورد عنهم في ذلك ما لا يحصى، ومعنى ذلك أن خبر الواحد العدل يفيد العلم بمضمونه، ويجب العمل به خلافاً للمتكلمين من المعتزلة وغيرهم.

٢- استدلال الظاهرية بهذا الحديث على جواز نسخ الكتاب والسنة المتواترة بخبر الواحد؛ لأن القوم عملوا به ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- جواز نسخ السنة بالكتاب فإن الصلاة إلى بيت المقدس إنما كان بالسنة؛ إذ لا نص في القرآن على ذلك، وتحويل القبلة إلى الكعبة إنما كان بالكتاب.. والمنقول عن الشافعي رحمه الله خلاف ذلك.

٤- دل الحديث على أن حكم الناسخ لا يثبت في حق المكلف قبل بلوغ الخطاب له، فإنهم بنوا ما فعلوه من الصلاة جهة بيت المقدس، ولو ثبت الحكم في حقهم قبل بلوغ الخبر إليهم لكانت صلاتهم باطلة، فلا يجوز البناء عليها، بل كان يجب استئناها.

٥- قد يؤخذ منه أيضاً جواز الاجتهاد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو بالقرب منه؛ لأنه كان يمكنهم أن يقطعوا الصلاة ويستأنفوها أو أن يبنوا على ما صلوا،

فرجحوا البناء.

٦- وفي الحديث أيضاً دليل على جواز مطلق النسخ؛ لأن ما دل على جواز الأخص دل على جواز الأعم.

٧- فيه دليل على جواز تنبيه من ليس في الصلاة لمن هو فيها، وأن يفتح عليه القراءة.

٨- قال الطحاوي: في هذا دليل على أن من لم يعلم بفرض الله تعالى ولم تبلغه الدعوة ولا أمكنه استعمال ذلك من غيره، فالفرض غير لازم له، والحجة غير قائمة عليه.

عبرة وحكمة التحويل

لما كان شأن ذلك التحويل عظيماً، فقد كان امتحاناً امتحن الله به قلوب المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب والمشركين، وقد ذكر كل من ذلك الشيخ أبو الوفا درويش، والشيخ خليل هراس موقف كل طائفة منهم، يقول الشيخ أبو الوفا درويش: «أما المؤمنون الذين ثبتهم الله بالقول الثابت، فقد اتبعوا الرسول، وصلوا إلى القبلة الجديدة التي ولاهم الله إياها، بغير اعتراض ولا تكبر، بل عن رضا وإيمان وتسليم وإذعان».

ويتفق الشيخ خليل هراس مع الشيخ درويش في أن المنافقين أخذوا يرجفون بالمدينة يحاولون أن يقذفوا الشك في قلوب المؤمنين يقولون: «ما يدري محمد أين يتوجه، لأن كانت القبلة الأولى حقاً لقد تركها وانصرف عنها إلى غيرها باطلاً، ولئن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل أول الأمر ثم اهتدى».

ثم يحدد رحمه الله حكمة التحويل في عدة

نقاط هي:

١- المسلمون خير أمة أخرجت للناس: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، ورسولهم خير الرسل؛ لأنه خاتمهم، وبرسالته تم بناء الدين الذي وضع كل رسول سابق لبنة في هيكله، حتى تم على يدي خاتم النبيين وكتابهم خير الكتب؛ لأنه مصدق لها ومهيمن عليها فناسب ذلك أن تكون قبلتهم خير القبل.

وخير القبل هي المسجد الحرام الذي هو

أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً.

٢- إن الجهة لا تكون قبله إلا إذا وجه الله الناس شطرها، فكل وجهة وجه الله الناس شطرها فهي قبله، ولا فضل لجهة على أخرى في ذاتها، ولكن الجهة تفضل غيرها باختيار الله تعالى إياها كما قال تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [البقرة: ١٤٢].

٣- أراد الله أن يقطع حجة هؤلاء الذين يزعمون أن صخرة بيت المقدس خير من المسجد الحرام، فولى المسلمين الذين هم خير الأمم بشهادته تعالى شطر المسجد الحرام ليثبت أنه خير المساجد ويدحض حجة المعاندين: «يَكْفُرُ بِكَ الْكُفْرُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِمَّ يَفْعَلُنَا عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

٤- ومن تمام النعمة على الأمة التي تعد شريعته متصلة بشريعة إبراهيم ومجددة لها أن تكون قبلتها هي قبله إبراهيم؛ لتتم لها الهداية: «وَلَئِمَّ يَفْعَلُنَا عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

٥- في تحويل القبلة امتحان لإيمان المؤمنين؛ فإن المؤمن صادق الإيمان يمثل أمر الله تعالى بغير اعتراض ولا تردد ولا إنكار، ولكن ضعيف الإيمان يساوره الشك، وتعبث بعقله الظنون وقد يحمله ذلك على الرد، ويدفعه إلى المروق من الإسلام: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كُنْتَ لَكَيْرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» [البقرة: ١٤٣].

٦- في تحويل القبلة تحقيق لرجاء الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان يرجو أن يوليه الله شطر البيت الحرام؛ لأنه قبله إبراهيم الذي بعث هو لتجديد ملته: «قَدْ رَأَى نَفْلًا وَجْهًا فِي السَّمَاءِ فَلَوَّى بِكَفِّهِ فَتِلْكَ رِضْوَانًا فَوَلَّى وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» [البقرة: ١٤٤].

٧- بيان أن البر لا يقف عند حد تولية

الوجه شطر جهة خاصة، فمدار الإيمان على طاعة الله وفعل الخير: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَلَئِكَةٍ وَآلْكِتَابٍ وَآلِنَبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَنَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَ يَعْتَدِهِمْ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الصَّالِحِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [البقرة: ١٧٧].

٨- بيان أنه بعد أن بين الله القبلة يكون اتباع غيرها اتباعاً للهوى وانصرافاً عن الحق؛ لأن القبلة التي بينها الله هي الحق: «وَلَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا أُولَئِكَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا نَبَّغُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةِ بَعْضٍ وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» [البقرة: ١٤٥].

٩- تصديق ما أخبرت به كتب أهل الكتاب من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى القبليتين.

هذا في حين يقول الشيخ شلتوت عن شهر شعبان: والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط شهر شعبان كله، لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص؛ تدريباً للنفس على الصوم.

وتعظيم رمضان إنما يكون بحسن استقباله والاطمئنان إليه بالتدريب عليه وعدم التبرم به، أما بخصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعائها فلم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول.. اهـ.

على أنه ينبغي أن يعرف أن تفضيل إنسان أو زمان أو مكان أو جهة عن غيره لا يكون لذاته، إنما يكون باجتماع الله له واصطفائه على ما سواه، فالحذر أن نقع في مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله، وبين ما يُظن للعمل به على أنه فضيلة من الفضائل.. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام

على من لا نبي بعده، أما بعد:

نتابع في هذا اللقاء ما كنا قد
بدأناه في العدد الماضي عن بناء الإسلام
للإنسان المسلم، فنقول مستعينين بالله

تعالى:

إنسان دعوة وجهاد:

والإنسان المسلم فوق ما سبق: إنسان دعوة
وجهاد، أعني أنه لا يقف عند صلاح نفسه، بل
يبدل جهده لإصلاح غيره، ودعوة الآخرين إلى
ما هداه الله إليه.

ومن هنا وجدنا سورة العصر - على
وجازتها - تشترط لنجاة الإنسان من خسر
الدنيا والآخرة - إلى جواز الإيمان وعمل
الصالحات - التواصي بالحق والتواصي
بالصبر: «وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفَرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا
بِالصَّبْرِ» [العصر: ١-٣].

ومعنى التواصي هنا: أن يوصي غيره
بالحق ويدعوه إليه، وأن يتقبل من غيره الوصية
بالحق كذلك، فكل مسلم موص، وموصى بالحق
في الوقت ذاته، وهذا هو معنى التواصي.
فالمسلم بطبيعته داعية، لأنه يوقن أن
رسالته للعالم كله، وللزمن كله، وللحياة كلها،
فهو يسعى لد شعاعها، وتعميم رحمتها على
العالم: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء:
١٠٧].

وكما أن محمداً صلى الله عليه وسلم بُعث
رحمة للعالمين، كما علمنا القرآن، وكما قال عن
نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة» [صحيح الجامع
للألباني ٢٣٤٥]، فأمته مبعوثة كذلك بما بعثه
الله به، وكل من اتبعه فهو داعية إلى الله، مقتد
به، كما قال تعالى مخاطباً له: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو
إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ» [يوسف: ١٠٨]، فكل
من اتبعه عليه الصلاة والسلام فهو داعٍ إلى الله
على بصيرة، أو هكذا يجب أن يكون.

وهكذا قال الصحابي ربعي بن عامر لرستم
قائد الفرس: «إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من
عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق
الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل
الإسلام».

والمسلم يبدأ دعوته في محيطه الخاص
أولاً، أي في أهله وأولاده وأسرتة، كما قال الله

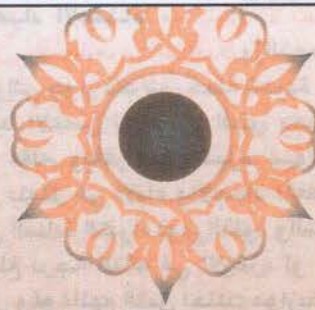
الإسلام

وبناء

الإنسان

الحقبة الثامنة

إعداد / أ.د. السيد عبد الحليم محمد حسين



عليه وسلم: «فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَنَّهُدْهُمْ يَوْمَ»
أي: بالقرآن «جَهَنَّا كَبِيرًا» [الفرقان: ٥٢]، وهذه
الآية مكية، أي قبل أن يشرع القتال في المدينة
بسنوات.

وإذا كانت المذاهب والفلسفات الأرضية،
والاديان السماوية المحرفة، تسعى لنشر دعوتها
في العالم، فأولى بدين الله الخالد والخاتم أن
يجد من ينشره في الآفاق حتى يتحقق وعد الله:
«لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» [الفتح: ٢٨]، وصديق الله إذ
يقول: «سُرِّيهِمْ عَالَمِينَ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» [فصلت: ٥٣].

إنسان عقل وعلم:

وإذا كان إنسان الإسلام إنسان إيمان وعقيدة،
فهو - في الوقت نفسه - إنسان عقل وعلم، إذ لا
تعارض في الإسلام بين الإيمان والعقل، ولا بين
الدين والعلم.

الدين الإسلامي لا يقول للمسلم ما تقوله
أديان أخرى: اعتقد وأنت أعمى! بل يدعوهم أن
يكون على «بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّهِ» [محمد: ١٤]، وأن يؤسس
عقيدته على «اليقين» لا على «الظن»، وأن يعتمد
على «البرهان» لا على «التقليد».

والقرآن ينادي أصحاب الملل والنحل
المختلفة بقوله: «قُلْ هَسَاؤُا بُرْهَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ» [البقرة: ١١١]، «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ
مُّتَحَرِّجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ أَنتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ»
[الأنعام: ١٤٨].

ويدمغ القرآن المشركين بقوله: «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَقِينُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» [النجم: ٢٨].

وكما أنكر القرآن اتباع الظن في الموضوع الذي
يتطلب اليقين، أنكر كذلك اتباع الهوى والعواطف
في مقام يوجب الموضوعية الخالصة، فقال تعالى
عن عباد الأصنام: «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنْ رَبِّهِمْ الْفُتْنَةُ» [النجم: ٢٣].

وإلى جوار ذلك شن حملة شديدة العنف على
التقليد الأعمى للآخرين، الذي يجعل الإنسان
يلغي عقله، ويفكر بعقل غيره، سواء كان هذا
الغير يتمثل في الآباء والأجداد المعظمين عنده،
أو في السادة الكبراء ذوي النفوذ والسلطان الذي
قد يبلغ درجة التآله في الأرض، أو في جمهور
الناس وغوغائهم الذين اختلفت موازينهم.

وفي نقد التقليد للآباء جاءت آيات كثيرة،
منها في القرآن الحكيم قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا

تعالى: «تَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهُمَا
الْأَنفُسُ وَالْجِبَارَةُ» [التحریم: ٦]، وقال جل وعلا:
«وَأَمْرًا أَمْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْبِرُ وَدَغًا تُحْنُ زُرْقًا
وَالْمُنْيَبَةُ لِلْقَوْنِ» [طه: ١٣٢].

ثم يمتد بدعوته في المجتمع من حوله، داعيًا
إلى الخير، محذراً من الشر أمراً بالمعروف، ناهياً
عن المنكر، فلا يجوز له أن يقف موقف المتفرج، أو
غير المبالي، من شيوخ المنكر، أو ضياع المعروف،
بل لا بد أن يتقدم ليغيّر المنكر إن استطاع بيده،
فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه،
وذلك أضعف الإيمان.

ولا يفهم من «التغيير بالقلب» هنا: أنه «موقف
سلبي» بل هو «غليان من الداخل» في مواجهة
منكر غالب وراء قوى ظالمة تسنده وتحميه، وهذا
الغليان لا بد أن يتجسد يوماً في عمل إيجابي له
أهميته في تغيير المجتمع.

المهم ألا يتخذ المنكر صفة الشرعية بطول
السكوت عنه، فهذا هو الذي يجلب لعنة الله على
المجتمعات، ويحل بها سخطه ونقمته: «لَعْنَةُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ» [المائدة: ٧٨].

حتى لو كان الذين يقترفون المنكر، أو
يجمونه، من أولي الأمر، وأصحاب الشأن، ينبغي
للمسلم ألا يضعف في مواجهتهم بالأمر والنهي،
بالحكمة والموعظة الحسنة، مستنداً إلى قوة
الحق الذي معه، وإلى اليقين بأن رزقه بيد الله لا
يملك أحد أن ينقصه، وأن أجله عند الله مسمى، لا
يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم.

وهذا هو الجهاد الداخلي الذي اعتبره النبي
العظيم في ذروة أنواع الجهاد حين سئل عن
أفضل الجهاد، فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر»
[رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن
النسائي رقم ٤٢٢٠].

ولا يقف المسلم عند حد الجهاد الداخلي
بالدعوة والأمر والنهي، بل هو يجاهد بلسانه،
ونفسه وماله، لتصل كلمة الله إلى الناس كافة،
كما جاء في الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم
وأبدانكم، والسننكم» [رواه النسائي وصححه
الألباني في صحيح سنن النسائي رقم ٣٠٩٦].

واعتبر القرآن الكريم الجهاد بتبليغ الدعوة
من الجهاد الكبير، حين قال لرسوله صلى الله

مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِينٍ مِّنْ نَّبِيِّ إِذَا قَالَ مَرُوفُهُمَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أَمْنٍ وَإِنَّا عَلَىٰ أَرْهَامٍ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جُنُودُكَ بِأَعْدَىٰ مِمَّا وَهَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ﴿٢٤﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤].

وفي القرآن المدني: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَصَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ الْبَاطِلُونَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَحْكُمُونَ» [المائدة: ١٠٤].

وفي نقد التقليد للكبراء والسادة، قرأ في القرآن المكي، وهو يصور بعض مشاهد الآخرة ومواقف المعذبين في الجحيم بعضهم من بعض: الاتباع والمتبوعين، الأذناب والرؤوس: «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَنتُ أُنْفُهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُفٍّ لَهُمْ وَلَوْلَهُمْ رِيشٌ مِّثْلُ مَا أَصْلَحُوا فَتَأْتُهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لَكُلُّكُمْ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِكَ لَئِنْ كُنْتُمْ نَذِيرُهُمْ فَتَأْتِيهِمْ مِّنَّا كَذِبَاتٌ لَّكُرَ عَلَيْهَا مِمَّنْ قَبْلُ مَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» [الأعراف: ٣٨-٣٩]. وهذا التلاوم تكرر كثيراً في السور المكية.

وفي القرآن المدني نقراً قوله تعالى: «إِنَّ نَبِيًّا ذِي نَبَأٍ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَوَّلُوا عَذَابَ وَتَقَعَتْ بِهِمْ السُّبُطُ ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَغَنِمْنَا بِهِمْ كَمَا نَبْرَهُوا وَمَا كَذَلِكَ يُرِيدُهُ اللَّهُ لَعَنَهُمْ حَزَنَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وفي نقد التقليد للعامة، والانصداف وراء الجمهور، ولو كانوا على باطل، جاء الحديث النبوي يحذر من هذه التبعية فيقول: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا ألا تظلموا». [رواه الترمذي وقال: حسن غريب وضعفه الألباني].

ومن ناحية أخرى بحث القرآن بأبلغ الأساليب على النظر والتفكير والتدبر، سواء في آيات الله الكونية المنظورة، أم في آياته التنزيلية المقررة والمسموعة، وبعبارة أخرى في المصحف الصامت وهو الكون، والمصحف الناطق وهو القرآن.

اقرأ إن شئت هذه الآيات: «قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [يونس: ١٠١].

«أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ» [الأعراف: ١٨٥].

«وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَدْ أَنفَسِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ» [الذاريات: ٢٠، ٢١].

«سَرَّيْهُمْ مَا يَلِينُ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقَّ» [فصلت: ٥٣].

ويقول الله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتُورَ ﴿١﴾ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ غُيْلَتًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢]. وقال سبحانه: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتَّقِيَ اللَّهَ الَّذِي تَخْتَرُكُمُ اللَّائِيهَ وَلِتَذَكَّرُوا أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءَ» [ص: ٢٩].

والعقل عند المسلمين ليس نقيضاً للوحي، بل هو الدليل على صدقه، ولهذا يعتبر المحققون من علماء المسلمين: أن العقل أساس النقل؛ إذ لولا العقل ما عرفنا وجود الله تعالى، ولا أقمنا الأدلة عليه، وأبطلنا شبهات الدهريين والملاحدة، ولولا العقل كذلك ما قام البرهان على إمكان الوحي ووقوعه، وصدق الأنبياء والرسل، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكن للعقل مجالاً لا ينبغي أن يتجاوزه، وإلا تاه في أودية الضلال، وأما ذات الله تعالى وما يتعلق بجلال شأنه فليس للعقل سلطان عليه، والأولى له التسليم للوحي فيه، والتلقي عنه، بعد أن تثبت هو صحته، فالعقل هو الذي يقيم الدليل على صدق الوحي، ثم يعزل بعد ذلك نفسه - كما قال الغزالي - ويأخذ عنه ما لا يدخل في اختصاصه في شؤون الألوهية وعوالم الغيب، وأحوال الآخرة، كما قال تعالى: «وَسَتَلَوْنَهَا فِي الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» [الإسراء: ٨٥].

وقد روي في حديث: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله» [حسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٩٧٦]. وبهذا التسليم يوفر الإنسان طاقته العقلية للبحث فيما هو أجدى عليه واليق به.

وعلى المسلم أن يطلب كل علم نافع مع أهله، فطلب العلم فريضة، منه ما هو فريضة عينية، ومنه ما هو فريضة كفاية على مجموع الأمة، سواء كان علماً دينياً أم دنيوياً، مما يحتاج إليه الفرد أو المجتمع.

وإنما العلم بالتعلم، وقد منح الله الإنسان أدوات العلم، فلا يجوز له أن يعطلها: «وَاللَّهُ أَفْرَحُكُمْ مِنْ طَرَفِ أَمْنِهِمْ لَكُمْ لَا تَقَامُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [النحل: ٧٨].

والقرآن يذم الكفار، ويجعلهم حطب جهنم لتعطيلهم هذه الأدوات: «هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَنَافٍ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ» [الأعراف: ١٧٩].

وينهى القرآن عن اتباع ما ليس للإنسان دليل عليه: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحًا» [الإسراء: ٣٦].

ودليل الماديات هو الحس، ولهذا أنكر القرآن على الذين زعموا الملائكة إنائاً بقوله: «أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ» [الزخرف: ١٩].

ودليل العقلية هو الفكر «قُلْ هَآؤُنَا بُرْهَانُنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [البقرة: ١١١].

ودليل التاريخيات ونحوها هو النقل الصادق: «أَتُورَى بِكَيْفٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَتُورَى مِّنْ عَٰلَمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [الأحقاف: ٤].

ودليل الغيبيات والشرعيات هو الوحي: «قُلْ ءَاللهُ أَوَدَّ لَكُمْ أَنْ عَلَى الله تَقَرَّبُونَ» [يونس: ٥٩].

«يَتُورَى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» [الأنعام: ١٤٣]. وعلى هذه المبادئ أقام الإنسان المسلم حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، وتركت آثارها في حياة الإنسان علوماً ومعارف شتى، سادت الدنيا قروناً من الزمان.

إنسان عمارة وإنتاج

والإنسان المسلم ليس راهباً في دير، بل هو إنسان عمل وإنتاج للحياة، يعطيها كما يأخذ منها، ويعد عمارتها هدفاً من أهداف خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، كما قال الله تعالى على لسان صالح لقومه: «يَقُولُوا آمَنَّا بِاللهِ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» [هود: ٦١]. ومعنى: «استعمركم» أي: طلب إليكم عمارتها، والأصل في الطلب هو الوجوب، وعمارة الأرض لا تنافي العبادة، بل هي - إذا استقامت على أمر الله، وانضبطت بتعاليم شرعه - تصبح عبادة وقربة إلى الله تعالى، كما سيأتي.

وقد جعل الله الأرض للإنسان مهاداً وفراداً، وجعل له فيها مستقراً ومتاعاً إلى حين وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وأودع فيها أسباب المعيش التي تحقق بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله، فما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه إلا ورزقه موفور في هذه المعمورة.

ولكن جرت سنة الله ألا ينال رزقه إلا بكبح وسعي، فمن جد وجد، ومن زرع حصد.

يقول الله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [الملك: ١٥].

فمن مشى في مناكب الأرض الذلول أكل من رزق الله، ومن قعد وتقاعد - بلا عذر - كان جديراً ألا يأكل، إلا أخذاً من حق غيره من المشاة العاملين.

والعبادات الشعائرية في الدين الإسلامي لا تعطل المسلم عن العمل لدنياء، فهي لا تحتاج إلى تفرغ ولا انقطاع، بل هي دقائق معدودات لكل صلاة من الصلوات اليومية، الموزعة على أوقات اليوم واللييلة.

والقرآن يصف رواد المساجد، العابدين لله تعالى بقوله: «يَسْمِعُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٧) رِجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا كِبَرٌ وَلَا يَفْضَحُونَ عَنْ يَدِهِمْ زُمُورٌ أَلْهَاهُم مَّا نُقِلَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُتَشَكِّينَ» [النور: ٣٧-٣٦].

ليس هؤلاء العباد المخلصون رهباناً ولا دراويش، بل هم رجال أعمال وأموال، ولكن لم تلهم دنياهم عن آخرتهم، ولم يشغلهم حظ أنفسهم عن حق ربهم.

والمسلم مطالب أن يعمل لدنياء، بما تيسر له من فروع الإنتاج، زراعة أو صناعة أو تجارة، أو رعيّاً، أو صيداً، أو استخراجاً لما في الأرض، أو غير ذلك، مما تحتاج إليه الجماعة.

وفي الحديث الصحيح: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة». [متفق عليه].

ومعنى هذا أن المسلم مطالب بالعمل للحياة إلى أن يتلفظ آخر أنفاسها، سواء انتفع بعمله أحد أم لم ينتفع، إنما هو مطالب بالعمل لذات العمل، فهو عبادة، وجهاد مقدس.

وإذا انصرف الناس عن الصناعات والحرف، وأصبحوا فيها عالة على غيرهم من غير المسلمين، كان العمل في هذا الميدان أولى وأعظم أجراً.

وإذا احتاج الناس إلى التجارة لانقطاع الطرق، أو لوجود مخاطر شديدة، أو لقلّة المكاسب بها، أو لغلبة بعض الأفراد أو الفئات على الأسواق، وتلاعبهم بالأسعار واحتكارهم للسلع والأقوات، تكون التجارة هنا أفضل.

نسأل الله أن يوفقنا لما ينفعنا في ديننا ودنيا، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، ويغفر لنا ما سلف من سيئاتنا، والحمد لله رب العالمين.

من صحيح الأحاديث القصار



علي حشيش

إعداد

٢٨٤٩- أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٤٥٥/٣) ح (١٥٧١٨) قال: حدثنا محمد بن إدريس، يعني الشافعي، عن مالك، عن ابن شهاب عن عبد الله بن كعب الأنصاري أنه أخبره أن أباه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يُنْعَثُ». [هذا حديث صحيح قد اشتهر عن ابن شهاب فتابع مالك متابعة تامة صالح ويونس كذا عند أحمد (٤٥٥/٣)، وتابعهم الليث بن سعد عند ابن حبان في «صحيحه» (٧٣٤)].

٢٨٥٠- عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ، سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرَقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرْقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَذَمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرَأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدَةٌ». [حم (٤٤٦/٥) ح (٢٣٨٠٤)، ومالك في «الموطأ» (٥٥٢)، وهذا حديث صحيح، والمرأة تموت بموت بجمع، أي تموت أثناء الوضع ولدها في بطنها].

قلت: وننبه إلى أن هناك لفظاً آخر لهذا الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرَقُ، وَصَاحِبُ الْهَذَمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [خ: ٢٨٢٩، ١٩١٤].

رثاء ووفاء

أولاً: أكتفي في هذا العدد بهذين الحديثين العظيمين حتى أستطيع أن أكمل المساحة المعدة شهرياً رثاء ووفاء لمن كان جزءاً من هذه السلسلة.

فكم كان حريصاً على مراجعة أحاديث هذه السلسلة بنفسه حديثاً حديثاً على كتب السنة الأصلية؛ مخافة أن يقع التصحيف بالأحاديث أثناء مرورها بمراحل الإعداد للطبع، وذلك في كل عدد حتى تخرج للناس بنور أنفاس النبي صلى الله عليه وسلم.

إنه أخي الشيخ أبو يحيى زكريا حسيني، رحمه الله، تركنا ونحن نسير مع أنفاس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قطعنا مسافة (٢٨٥٠) حديثاً صحيحاً ثابتاً.

أهل الحديث همو أهل النبي وإن

لم يصحبوا أنفسهم، أنفاسه صحبوا

«يَوْمَ لَا يُخْرَىٰ اللَّهُ إِلَيْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنٍ مِنْهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نَافِلَةً وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [التحریم: ٨].

ثانياً: فعلى مثل مصابنا فليحزن القلب ولتدمع العين، فالقلب يحزن، والعين تدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا أبا يحيى لمحزونون.

ولا نجد ما يهون علينا ما نجده إلا قول ربنا مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ

مَنْ قَبْلَكَ الْخَلْدُ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ » [الأنبياء: ٣٤]. فإلى الله المشتكى، مات أبو يحيى والحاجة إلى مثله تتنامى، إي والله، فقم شد من أزري في سلسلة تحذير الداعية مدافعا عن السنة رادعا لأهل البدعة، لا يخاف في نشر الحق لومة لائم، ومواقفه في هذا الشأن لا تُحصى، يعلمها رئيس التحرير حفظه الله، وعلى سبيل المثال لا الحصر عندما انتشرت بدعة التعامل مع الجان واشتهرت وانتشرت، واغتر الناس بها؛ وجاء مروجوها بقصص واهية ليلبسوا البدعة ثوب السنة، فقال أبو يحيى رحمه الله: لا بد وأن تبين حقيقة هذه القصة حتى يفرق الناس بين هذه البدعة - بدعة التعامل مع الجان - وبين الرقى الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، وفيها يلجأ الناس إلى الله متعلقة قلوبهم بالله عز وجل لا بالأشخاص أصحاب بدعة التعامل مع الجان.

فدحضنا حججهم التي استمدوها من هذه القصص الواهية، وكشفنا عارها، وبيننا عوارها في سلسلة تحذير الداعية كما هو مبين برقم (٤)، (٥٥)، (٦١)، (٩٨)، وهذا الرقم الأخير حول قصة اغتر بها الكثير من طلبة العلم لوجودها في بعض كتب العقيدة المشهورة، فالله أسأل أن يجعله لأبي يحيى من العلم الذي به ينتفع، إذا ما العمل انقطع، فيه تحيى السنة وتنتشر، وتموت البدعة وتنتحر.

ثالثا: مناسبة الحديث الأول في هذا العدد لموت أبي يحيى رحمه الله:

الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله أورد هذا الحديث في «تفسيره» للآية (١٦٩ - آل عمران)، ثم ختمه بدعاء نسال الله أن يحققه لأبي يحيى، حيث قال الإمام الحافظ:

قد رويناه في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضاً فيها، وتأكّل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة... ثم قال:

«وفي هذا الحديث إن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة». وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإتباعها تطير بنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يميّتنا على الإيمان». اهـ.

ونحن نسال الله الكريم المنان أن يجعل لأبي يحيى نصيباً من هذه الدعوة لبنال هذه البشارة.

رابعا: مناسبة الحديث الثاني لموت أبي يحيى رحمه الله:

تستبين هذه المناسبة بما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح (١٩١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله شهيداً. قال: «إن شهداء أمتي إنز لقليل». قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ ثم بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الأسباب التي بها يسمى المسلم شهيداً، ولقد مات أبو يحيى في سبب من أسباب الشهادة التي بينها في الحديث الثاني.

فنسأل الله الكريم المنان أن يبلغه منازل الشهداء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

النوادر

مات الشيخ ..

وفي الليلة الظلماء
يُضَتُّ قَدُ الْبَدْرِ

اعداد: جمال سعد حاتم

ملف خاص
ملف خاص

د. عبد الله شاکر

■ أبا يحيى تقبلك الله فى الصالحين

د. حمدي طه

■ وداعاً أبا يحيى

معاوية هيكل

■ **ورحل الوالد المعلم**



أبا يحيى .. تقبلك الله في الصالحين

د. عبد الله شاعر

بقلم /

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية

والإشراف عليها.

وفي العام الماضي أسند إخوانه إليه أعظم مهمة تقوم بها أنصار السنة وهي الدعوة إلى الله، وأصبح مديراً لإدارة الدعوة والإعلام، وقد خطا بها خطوات، وكان يعمل بجد ونشاط يفوق غيره من الشباب، ومما يؤكد ذلك أنه وهو في مرضه أرسل استبياناً إلى الفروع يطلب بعض المعلومات ليبنى عليها خططا جديدة في الدعوة، وقد طلب ذلك وهو يعاني من شدة المرض، ورغب أن يتسلمه في يوم الجمعية العمومية المنعقدة بتاريخ ٢٨/٤/٢٠١٢م، ولم يحضرها لمرضه - رحمه الله -.

ولقد ابتلي ببعض الأمراض فصبر واحتسب، وقد زرتُه ومعِي ولدي محمد في منزله الكائن ببلييس قبل دخوله المستشفى بيوم واحد، وسمعتُه يحمّد الله على ما هو فيه، ويثني على ربه، ويشكره على فضله.

وإني - والله - لأرجو له الخير والجنة والعفو والمغفرة والدرجات العلا، وأن يشملهُ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله، حتى يلقي الله وما عليه خطيئة». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

وقدمني ابنه «يحيى» للصلاة عليه - وفي القوم من هو أفضل مني - فاستجبت لطلبه، وبكيت ودعوته له صادقاً مخلصاً، وكنت من أول الواقفين المستغفرين له عند لحده، أسأل الله أن يحشره مع الذين أنعم الله عليهم، كما أسأله سبحانه أن يرزق زوجته وأولاده وجميع أهله الصبر على فراقه، وأن يجمعهم به في مستقر رحمته.

اللهم اغفر لعبك زكريا وتقبله في الصالحين، وإني هنا أشكر جميع من حضر وشارك في العزاء، كما أشكر المواسين لنا في الداخل والخارج، وأقول للجميع: أحسن الله عزاءكم، وشكر سعيكم، وغفر لنا ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملاً، والصلاة والسلام على من قال الله له في كتابه: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ لَخَالِدُونَ» [الأنبياء: ٣٤].

فله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، في يوم الأحد الموافق ١٣/٧/١٤٣٣هـ انتقل إلى جوار ربه ومولاه أخونا الصديق الحبيب المعلم المربي، صاحبنا في الله أبو يحيى «زكريا حسيني»، رحمه الله.

وهكذا نتجدد أحزاننا بفقد أحببنا وشيوخنا، ولقد دمعت عليه العين، وحزن القلب، ولم أقل إلا ما يرضي الرب: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا، واخلفنا خيراً منها».

ولقد عرفت الشيخ منذ خمسة وثلاثين عاماً، ورايته محباً للعلم، حريصاً عليه، قريباً من إخوانه، معظماً للتوحيد والسنة غيوراً عليهما، داعياً إليهما بعلم وفقه وبصيرة، وقد حباه الله تعالى بخلق كريم وسَمَت حسن، وكانت أراؤه مسددة، وكلماته موفقة، ومواقفه منضبطة، ولقد تعلمت منه الكثير أثناء إقامتنا في المدينة النبوية، وكان هو أستاذنا وكنت طالباً، وكنت أزوره كثيراً في بيته ويبلغ في إكرامي وغيري من ضيوفه.

كما كان يتفضل عليّ ويزورني في بيتي، ولقد لمست فيه حرصه الشديد على تربية أبنائه تربية صالحة، وقد وُفق في هذا كثيراً - أسأل الله أن يبارك له في عقبه -.

وقد اهتم الشيخ - كما عرفته - بالدعوة والعلم، وأفنى زهرة شبابه إلى وفاته في ذلك، فكان ينتقل بين القرى والأصهار داعياً ومعلماً ومربياً، وكَم استفاد الناس من مقالاته التي كتبها في مجلة التوحيد، وكان على رأس الساعين إلى إيجاد معاهد للدعاة ذات صبغة علمية منهجية، وظل يتابع هذا الأمر، حتى حصل على موافقة وزير الأوقاف بهذه المعاهد التي انتشرت في أنصار السنة بمصر، واستفاد من مناهجها خلق كثير خارجها، وكان هو المسئول الأول عن هذه المعاهد، حيث تولى إدارتها

الحمد لله المتفرد بالبقاء

والدوام، والصلاة والسلام على

خير الأنام، وبعد:

فقد فوجئنا ظهر الأحد ١٣ رجب

١٤٣٣هـ، الموافق ٢٠١٢/٦/٣م

بـخبر وفاة أخينا الحبيب، حامل

راية القرآن، فضيلة الشيخ أبي

يحيى زكريا الحسيني -رحمه

الله- إثر عملية جراحية أجريت

له، نسأل الله أن يكتب له الأجر

والتواب.

رحل الشيخ عن دنيانا وترك

ثغرة، نسأل الله أن يهيئ لها

من يسدها. ونحن نبشّر أهله

وأحبابه بما له عند الله، ليكون

في ذلك عزاء لهم، ويكون دافعا

لكل من يقرؤه ليجتهد في نيل

ما نرجو أن يكون الشيخ قد

نال.

فَقُولُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ:

إن القرآن الكريم هو حبل الله

المتين، وهو النور المبين، وهو

الصراط المستقيم، عصمة لمن

تمسك به، ونجاة لمن اتبعه،

«كَتَبَ أَنْكَتَ إِنْكَلَهُ ثُمَّ قُضِيَ مِنْ لَدُنْ

حَكِيمٍ حَبِيرٍ» [هود: ١].

ولقد أمر الله تعالى رسوله

والمؤمنين بتلاوة القرآن الكريم.

وقد شهد الله تعالى لقراء

القرآن بالإيمان فقال تعالى:

«الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ الْإِيمَانِ» [البقرة: ١٦٥].

ولقد عاش الشيخ -رحمه الله-

بـ

البيع

أبا يحيى

بقلم /

د. عبد العظيم بدوي

المشرف العام

مع القرآن، يتلوه آناء الليل

وأطراف النهار، فنحسبه ولا

نزكيه على الله، فنسأل الله أن

يكتب له به أجرا، وأن يحط عنه

وزرا، وأن يجعله عنده له ذخرا،

وأن يزيده ما وعده، وأن يزيده

من فضله، كما قال سبحانه:

«لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ حَظَّهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ»

[فاطر: ٣٠].

جهود الشيخ

في تحفيظ القرآن الكريم:

والشيخ -رحمه الله- كان من

الحفاظ المتقنين، نحسبه كذلك،

والله حسيبه، فنرجو إذا قرأ

يوم القيامة ألا يقف حتى يختم،

كما كان يختم في الدنيا، فتكون

منزله في أعلى درجات الجنة،

بفضل الله ورحمته.

ولقد عاش الشيخ للقرآن معلما

بعد أن تعلمه، وبذل في تعلمه

جهده، ولم يكتف بأن يجاز من

أهل القرآن في قراءة حفص

وحدها، بل جد واجتهد حتى

أتقن القراءات العشر، وأحيز

فيها، ثم انشغل بتعليم القرآن،

وأولى فلة كبد، وثمرة فؤاده،

وهم أولاده الذكور الثمانية،

أولاهم رعايته، وبذل لهم

جهده، حتى ختموا أجمعون،

فهم -إن شاء الله- في صحيفة

حسناته، هم ومن علموهم إلى

يوم القيامة.

فعن عثمان رضي الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»

[أخرجه البخاري وغيره].

وعن أنس بن مالك رضي الله

عنه قال: قال النبي صلى الله

عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ

النَّاسِ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ،

أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» [أخرجه ابن

ماجه ٢١٥ وصححه الألباني

في صحيح الجامع ٢١٦١].

فالشَّيْخُ إِذْنٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ،

العارفين به، الناصحين لله،

ورسله، ولكتابه، ولأئمة

المسلمين وعامتهم. وكان -

رحمه الله- حريصا على

الجمعية ودعوتها، وسلامة

منهجها. فهيننا له ما قدم

وأخر.

ولا يسعنا في الختام إلا أن

نقول: «ربح البيع أبا يحيى»،

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم أجرنا في مصيبتنا

وأخلف لنا خيرا منها. اللهم

اغفر لأبي يحيى، وأرفع درجته

في المهدين، وأخلفه في أهله

في الغابرين، وأغفر لنا وله يا

رب العالمين. اللهم لا تحرمنا

أجره، ولا تفتنا بعده، وأغفر

لنا وله، وللمسلمين والمسلمات،

والمؤمنين والمؤمنات.

مات الشيخ... وفي الليلة الظلماء يموتك البدر

رئيس التحرير

إعداد

إن الخطب جلل، والمصاب عظيم، ولكن لنا الأسوة في سلفنا الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، صبروا على مصيبة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم على موت الخلفاء من بعده.

حقيق على من عرف أن الموت مورده والقيامة موعدة، والوقوف بين يدي الجبار مشهده أن تطول في الدنيا حسرته، وفي العمل الصالح رغبته، « **فَلَا تَعْرَنَكُمْ أَلْحَاوَةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ** » [لقمان: ٣٣]. فاحذروا الاشتغال بالدنيا الفانية.

هل ينتظر أهل غضاضة الشباب إلا الهرم، وهل بضاعة الصحة إلا السقم، وهل طول البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الفوت، ونزول الموت، وأزف الانتقال، وإشغال الزوال، وعرق الجبين، وعظم القلق، وقبض الرمق؟!

يا ساكن اللحد غذا أين الوالدون وما ولدوا، وأين الجبارون، وأين ما قصدوا، وأين أرباب المعاصي على ماذا ورودوا؟! أما جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا، أما قدموا على أعمالهم في مآلهم ووقفوا، أما خلوا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا.

وإني أحسبك والله أيها الوالد شهيداً، فقد كانت الدعوة إلى الله تعالى هي حياتك.. والتقرب إلى الله بغيتك، وقد فاضت روحك وأنت تجاهد من أجل نشر دعوة التوحيد!!

فاللهم ارحم شيخنا رحمة واسعة، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، واجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

مات الوالد وتركني وحيداً، مات الحنون، رفيق الدرب، كنت أوصيه بأولادي في رحلات العلاج والتداوي، مات الشيخ الخلق، صاحب القلب الطيب، فالله أجراً في مصيبتنا، واخلفنا خيراً منها، والله إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، وإنا على فراق أئمتنا وعلمائنا لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

مات الوالد في أول الأيام البيض من رجب، سبحان الملك الوهاب يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وكانني كنت على موعد لرحيل الأحبة، ففي يوم الجمعة الموافق ١٣ رجب ١٤٢٢ هـ فقدت الأب الحنون، والشيخ الجليل فضيلة الشيخ صفوت نور الدين، رحمه الله رحمة واسعة، وصلينا عليه صلاة الجنازة بعد المغرب في المسجد الحرام بمكة المشرفة، وفي ١٣ رجب ١٤٢٣ هـ يلحق به الشيخ الحبيب وصلي عليه بعد المغرب في مسجد التوحيد ببلييس.

إنها إرادة الله، كنت أوصيه بأن يصلي علي عندما كانت تشتد بي آلام المرض، وكانت كلماته التي تخرج من فيه بلسماً شافياً، أدعو الله العلي القدير أن يلحني به في أعلى عليين، وفي الفردوس الأعلى، آمين آمين.

مات الوالد رحمه الله، ونسال المولى القدير أن يرزق زوجه وأولاده وأهله وتلامذته وطلابه الصبر على فقده، وأن يجعلهم خير خلف لخير سلف، فلا ينسى من دعوة صالحة أو صدقة جارية، وإنه والله كان والدًا لكل شباب الدعوة إلى الله؛ إليه يرجعون، وباقواله ينتصحون، وبتوجيهاته ياتَمرون، فرحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى مع سيد الدعاة وإمام الأنبياء محمدًا عليه الصلاة والسلام.

أسامة سليمان

بقلم

إلى القلب ليحزن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن التسليم لقضاء الله والرضا به من صفات أهل الإيمان، يقول سبحانه: « **وَيَسِّرِ الصَّيْرَةَ** » (١٥٥) **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** » [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦].

وإن المصيبة مهما عظمت فإن مصيبة موت سيد البشر صلى الله عليه وسلم لهي أعظم المصائب بالنسبة للمسلم، وفراق الأحبة في هذه الدنيا الفانية نذير من رب العالمين للأحياء على دنو الموت.

وفي الأيام الماضية فقدنا أخانا الكريم وشيخنا الجليل فضيلة الشيخ العابد الزاهد: زكريا حسيني، أبا يحيى، الذي تعلمنا منه الخلق والسمت قبل العلم، الذي كان محباً لإخوانه محافظاً على منهج أهل السنة والجماعة، نابذاً لمنهج المبتدعة والفرق الضالة، فرحمه الله رحمة واسعة، وباعد بينه وبين خطايه كما باعد بين المشرق والمغرب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

راح يذكر ذات مرة لنا طرفاً من مناقب الشيخ ابن باز وفضائله، وينساب في الحديث عن أخلاقه، وإحسانه وعطفه على الناس عامة، وطلبة العلم خاصة، فكان كلما يذكر موقفاً من مواقف الشيخ

النبيلة وما أكثرها، ينهمر الدمع هطلاً من عينيه، حزناً على فقد الأمة لعلمائها ورموزها.

ونحن والله لنتنهمر دموعنا اليوم حزناً عليه، وألماً لفراقه.

كما عرفته والداً كريماً وودداً رحيماً رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، يستشعر الزائر إلى مجلة

التوحيد وهو معنا بالدفء والرحمة والحنان؛ كوالد بين أبنائه، يوجه وينصح، يسهر معنا الليالي من أجل أن تخرج مجلة التوحيد في أجمل صورة، وأبهى حلة.

وإذا أردت أن تتعرف على أثر علمه ومنزلته عند طلاب العلم فاذهب إلى فروع الجماعة، وخاصة بين أبنائه وطلابه، الذين هم ثمار غرسه بقلعة التوحيد والسنة ومنازة الهدى والنور بمدينة بلبس، عندئذ ستري بستاناً يانعاً من العلم تقطف من أزهاره وتجنّي من ثماره وتستظل بوارف ظلاله.

وفي الختام أقول لأبناء الشيخ وطلابه: إن لله ما أخذوه ما أعطى وكل شيء عنده لأجل مسمى، فلتصبروا ولتحتسبوا يا دعاة التوحيد ويا حماة السنة، ورحم الله شيخنا رحمة واسعة، ونور له بالإيمان قبره، وأفسح له فيه مد بصره، وعوضنا خيراً عن فقده، وبارك الله عز وجل في عقبه، وجعلهم امتداداً مباركاً له بإذن الله عز وجل.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

أحمد صلاح رضوان

رحمكم الله يا شيخنا

ففي زمان قبض العلماء وذهب الأخيار والفضلاء فقدت جماعة أنصار السنة المحمدية علماً بارزاً من أعلامها، ورمزاً من رموزها، سخر حياته، وقلمه، ولسانه لدعوة التوحيد، حتى أتاه اليقين من ربه.

عرفت الشيخ زكريا - رحمه الله - والداً وعالماً ومربيّاً، عرفته عالماً يعظّم الدليل، مقدماً إياه على آراء الرجال مهما علت رتبته، وقد شاهدت مواقف عديدة في هذا الشأن من شيخنا رحمه الله، وقد كان يردد دائماً مقولة السابقين: «كل يؤخذ منه ويرد

إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم». وكان يتمثل دائماً قول ابن القيم رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا من شيخ الإسلام».

وكان لعلماء السلف من الصحابة ومن سار على نهجهم منزلة عظيمة ومكانة عالية في قلب شيخنا، فكتب - رحمه الله رحمة واسعة - عن الصحابة الكرام سلسلة مقالات في مجلة التوحيد، مدافعاً عنهم ومنافحاً، يرد شبهات المغرضين، ويحضض ضلالات المبتدعين، غير مبال بإرجاف المرجفين، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع درجته في المهديين.

وكذلك كان حاله مع علماء الأمة المعاصرين، أمثال الشيخ ابن باز، والألباني، وعبد الرزاق عفيفي، وابن عثيمين، رحمهم الله، وغيرهم مما يفوق الحصر، فكان يذكرهم بكل جميل وإحسان، ويجلهم ويقدّرهم، فكان يذكر طرفاً من كلماتهم، وأخلاقهم، وعلمهم، ونحن ذات مرة على مائدة التوحيد باللجنة العلمية تراجع المجلة الغراء،

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد:

فهذه زفريات مهموم، وأنات مكلوم، وحشرجات أنفاس مصدور، على فراق شيخنا ووالدنا فضيلة الشيخ الإمام، حسنة الأيام: زكريا حسيني، رحمه الله.

فقد كان الشيخ رحمه الله من العلماء الفضلاء الذين حفظ الله بهم الدين ونصر بهم السنة، فكان شوكة في حلوق المبتدعة، الذين يريدونها عوجاً، لا سيما وهو صاحب باب السنة في مجلة التوحيد الغراء، وقلمه يُخبر عنه.

مات الشيخ رحمه الله والأمة أحوج ما تكون إلى مثله، في زمان كثرت فيه الفتن، وزادت فيه غربة الدين، ونذر فيه المستمسكون بالسنة كان الشيخ لنا نبأ على الدرب، ما حرّمتنا منه الفائدة أبداً، بل ما شعرت باليتم حقاً إلا يوم وفاته، فقد كان ببني وبينه أبوة علمية. كان الشيخ رحمه الله لا يحب الشهرة، ولا يطمح لدنيا، فما سل عزمه وما كسرت شوكته، غفيف النفس، طيب الطوية، حسن الخلق، ولا ينكر شذا خلقه إلا مذكوم، تعلمنا من لحظه قبل وعظه، ومن سمته قبل علمه، فقد كان رحمه الله على مَحْيَاه نَصْرَة السنة، وَخُلُق القرآن، أحسبه كذلك والله حسيبه.

وكان في آخر كلماتي له - رحمه الله - : تقوى يا شيخنا ولا تشمت بنا الأعداء، فمرض أمثالكم يفرح به أهل البدع، كما كان السلف يقولون، ثم دعا لي بالبركة، حتى فجعت الأمة كلها بموته رحمه الله، وسقط حصن، وانفتح ثغر، قد كفانا الله مؤنته طيلة حياته، رحمه الله.

فرحمكم الله يا شيخنا، وجبر الله مصابنا فيك، وعوضنا خيراً. آمين.

ترجمة الشيخ الوالد زكريا حسيني محمد رحمه الله

جمال سعد حاتم

إعداد /

وأبناء الشيخ رحمه الله

حياته الدعوية:

عمل في مجال الدعوة إلى الله من خلال مساجد جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر من خلال المحاضرات والأسابيع الثقافية وخطب الجمعة وحضور الندوات. تولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية - فرع بلبس- بعد وفاة سماحة الشيخ محمد صفوت نور الدين عام ٢٠٠٢م، وكانت له جهود ملموسة في هذا الفرع في مجال تحفيظ القرآن الكريم للرجال والنساء؛ حيث تخرج على يديه عدد من الحافظين والحافظات في مدارس تحفيظ القرآن الكريم التي أنشأها الشيخ وأشرف عليها طيلة حياته، وصار منهم أئمة للمساجد ومحفظون للقرآن الكريم، وكذلك جهوده في تخريج الدعاة من خلال معهد إعداد الدعاة؛ بحيث صار فرع بلبس يرسل خطباء من الفرع إلى فروع أخرى داخل محافظة الشرقية وخارجها.

تولى إدارة شؤون القرآن الكريم بجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام، ثم تولى إدارة معاهد إعداد الدعاة بالجمعية، ثم تولى إدارة الدعوة والإعلام بالجمعية. عمل باللجنة العلمية لمجلة التوحيد، حتى صار رئيساً لها، وقد كان يراجع المجلة كل شهر مراجعة لغوية وعلمية، يقضي في ذلك ساعات طويلاً ويسهر من أجل ذلك ليلالي متتابعة؛ لكي تخرج المجلة في أفضل مستوى يستفيد منه القراء.

كان عضواً بلجنة الفتوى بجماعة أنصار السنة المحمدية بالمركز العام.

درّس المواد الشرعية والدعوية واللغة العربية بمعاهد إعداد الدعاة بمصر من عام ٢٠٠١م حتى عام ٢٠١٢م. وكان هناك العديد من الطلبة يقرعون عليه في آخر حياته ولم يكملوا، إضافة إلى مجلس لدراسة كتاب المغني في الفقه كان يخضّر العديد من طلبة العلم والدعاة في منزله.

شارك في مؤتمر حوار الأديان الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ٢٠٠٨م وتحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز.

شارك في المؤتمر الرابع لأنصار السنة المحمدية بولاية السودان، وذلك في شهر يناير من عام ٢٠١٢م بدعوة من الجماعة هناك.

تولى رئاسة مجلس علماء ودعاة الشرقية والذي أنشئ

اسمه: هو الشيخ زكريا حسيني محمد السيد منصور. مولده: وُلد في قرية العباسية (مركز أبي حماد، محافظة الشرقية) في ١٥/١٢/١٩٤٦م الموافق ٢١/١/١٣٦٦هـ.

حياته التعليمية:

الحقه والده بالكُتَاب في بلدته، فتعلم فيه الحروف كتابةً على اللوح، وحفظ بعض القرآن، ثم ألحق بجمعية المحافظة على القرآن الكريم في بلبس حتى أتم حفظ القرآن الكريم.

ومع حفظه القرآن في الجمعية؛ درس منهج المرحلة الابتدائية في الجمعية نفسها، وتخرج فيها عام ١٩٦١م الموافق عام ١٣٨١هـ وكان ترتيبه الثاني.

ثم التحق بعد ذلك بمعهد بلبس الإعدادي الأزهري؛ حيث حصل على الشهادة الإعدادية عام ١٩٦٦م الموافق ١٣٨٦هـ.

ثم التحق بمعهد الزقازيق الثانوي الأزهري وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٦٩م الموافق ١٣٨٩هـ.

ثم التحق بكلية التربية بجامعة الأزهر شعبة الدراسات الإسلامية، وتخرج فيها عام ١٩٧٤م الموافق ١٣٩٤هـ.

حياته الوظيفية:

عُيِّن بعد تخرجه بشهر واحد مدرساً بالمعاهد الأزهرية، وتحديدًا في معهد بورسعيد الإعدادي الثانوي، وظل فيه عاماً كاملاً؛ ثم انتقل إلى معهد بلبس الإعدادي الثانوي، وظل به حتى عام ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨م.

وفي عام ١٣٩٨هـ تعاقّد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ للتدريس في المعهد المتوسط وشعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها في مجال تدريس اللغة العربية، والإشراف والتوجيه على تدريس العلوم الشرعية، والمشاركة في لجنة وضع المناهج ولجنة تصنيف الطلاب الجدد من عام ١٩٧٨م-١٩٩٤م، وقد تخرج على يديه العديد من الطلبة الأعاجم من مختلف البلدان الإسلامية.

انتقل بعد ذلك لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة؛ حيث عمل في الإشراف والتوجيه على حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، والإشراف على الدورات التدريبية والتربوية للمحفظين بالجمعية من ١٩٩٤م-٢٠٠١م، وقد كانت له جهود ملموسة في الجمعية؛ حيث أحدث طفرة فريدة في مستوى التحفيظ بالجمعية، وقاد الجمعية للصدارة بين مثيلاتها على مستوى المملكة العربية السعودية، حيث تميزت بكثرة الخريجين من الحفاظ الذين تألقوا في المسابقات المحلية والدولية، بل وصار منهم إماماً للحرر المدني ثم المكي وهو الشيخ عبد الله بن عواد الجهني.

عام ٢٠١١م.

شارك في أنشطة دعوية ودورات علمية في دولتي الكويت والإمارات العربية المتحدة.

أولاده:

له من الولد تسعة؛ ثمانية أبناء وابنة واحدة، سبعة منهم يحفظون القرآن كاملاً، وأربعة منهم أئمة وخطباء، وقد كان له أثر واضح في حفظهم للقرآن الكريم، وتعلمهم لعلوم الشريعة وغيرها.

صفاته وأخلاقه:

امتاز رحمه الله بحُسن الخلق، ولين الجانب، والتواضع، والحلم، والأناة، والعفو والصفح عن أساء إليه، والشجاعة المعهودة في الحق، وكان حكيماً في أقواله وأفعاله، شديد البر بوالديه رحمهما الله، متلطفاً مع مخالفيه في المنهج، وقد وضع الله له القبول في قلوب العباد، فما رآه أحد إلا أحبه وشعر بقربه منه، يفيض بحنان الأبوة وعطف الأخوة على كل من حوله، ويحب الخير لكل أحد، ويقدم النصيحة لمن حوله، كان يرفض الظهور في وسائل الإعلام على الرغم من كثرة إلحاح الناس عليه وطلبهم له، لكنه كان يفضل أن يجعل وقته كله لمعاهد إعداد الدعاة، وللدروس المنهجية التي تخرج طلبة علم ودعاة يقومون بواجبهم تجاه أمتهم، وينهضون بالدعوة إلى الله، ويكملون مسيرة العلماء الذين كان لهم دور بارز في نشر المنهج السلفي وعقيدة أهل السنة والجماعة.

وكان -رحمه الله- لا يدخر جهداً في سبيل نشر العقيدة الصحيحة والمنهج السلفي الصحيح، وكان يحرص على تلبية الدعوة للدروس والمحاضرات والخطب في مختلف المحافظات من شمال مصر إلى جنوبها، ولا يتخلف إلا لضرورة، ويتكبد مشقة السفر مع مرضه محتسباً تلك الخطوات عند ربه.

شيوخه:

تتلمذ في مراحل الأولى على: الشيخ محمد مصطفى عساف والشيخ عبد الحليم علي والشيخ منصور حسن شتات والشيخ محمد الأنجاوي والشيخ سليمان البس، وهو الذي أتم عليه حفظ القرآن الكريم كاملاً برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية. والشيخ عطوة أبو غيدة، مدير جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

ثم تتلمذ خلال دراسته الأكاديمية بجامعة الأزهر على كوكبة من العلماء والأساتذة، ومن أشهرهم: الشيخ الدكتور/ عبد الحليم محمود. شيخ الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمد الأحمد أبو النور وزير الأوقاف الأسبق والشيخ الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الأسبق والشيخ الدكتور/ محمود بن الشريف والشيخ الدكتور/ عبد الوهاب فايد

والشيخ/ محمد الغزالي رحمه الله.

ثم في فترة مكثه في المدينة المنورة تتلمذ على مشايخ القرآن والقراءات بالمدينة وكان من أبرزهم: الشيخ عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي "صاحب كتاب هداية القاري إلى تجويد كلام الباري"، وعضو لجنة مراجعة المصحف بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، والمدرس بالجامعة الإسلامية والشيخ عبد الحكيم عبد السلام خاطر "عضو لجنة مراجعة المصحف بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف"، وأجازه الشيخ بها، ثم شرع في قراءة القرآن الكريم بالقراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر حتى وصل إلى قوله تعالى: «يَحْيَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [الآية ٢٧ من سورة إبراهيم]، ثم توقف بعد ذلك لعودته إلى مصر، لكن الشيخ أحمد ما لبث أن أجازه فيها؛ لما رأى من إتقانه وحرصه واجتهاده.

كما تتلمذ على بعض علماء المديشة في الحرم النبوي ومن هؤلاء: الشيخ عبد المحسن العباد "حفظه الله" رئيس الجامعة الإسلامية الأسبق والشيخ صالح العبود "حفظه الله" رئيس الجامعة الإسلامية السابق.

كما كان يحضر دروس بعض المشايخ في الحرم أيضاً مثل: الشيخ عمر فلاتة "رحمه الله" والشيخ عطية سالم "رحمه الله" والشيخ أبو بكر الجزائري "حفظه الله"، وكذلك دروس الشيخ محمد بن صالح العثيمين "رحمه الله" التي كان يلقيها بالمدينة على فترات.

تلاميذه:

تتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم داخل مصر وخارجها؛ حيث تلقوا عنه العلوم الشرعية، واللغة العربية، والقراءات.

مؤلفاته وكتابات:

- ١- كتاب الفقه في العبادات، ألفه لطلاب المستوى الثالث في شعبة اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.
- ٢- كتاب مختارات من التفسير، للمستوى الرابع بالشعبة أيضاً، بالاشتراك مع الأستاذ عبد الرحمن بن محمد المختار، المدرس بالشعبة آنذاك.
- ٣- تولى إعداد مقال (باب السنة) بمجلة التوحيد، وذلك بعد وفاة الشيخ محمد صفوت نور الدين من عام ٢٠٠٢م حتى عام ٢٠١٢م.

وفاته:

في يوم الأحد الثالث عشر من شهر رجب المحرم عام ١٤٣٣هـ، الموافق للثالث من شهر يونيو عام ٢٠١٢م وفي العاشرة والنصف صباحاً فاضت روحه إلى بارئها، بعد صراع مع المرض، أجرى على إثره عملية جراحية بالمركز الطبي العالمي. نسأل الله أن يتغمده برحمته، وأن يتجاوز عنه، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، وأن يجعل ما قدمه في ميزان حسناته، وأن يعوض الأمة خيراً في فقده.

وداعاً أبا يحيى

د. حمدي طه

بقلم /

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وآه وصحبه، وبعد:

فقد ساعنا نبأ وفاة شيخنا ووالدنا الفاضل فضيلة الشيخ زكريا حسيني رحمه الله، وبموته فقدنا علماً من أعلام أنصار السنة ولا أبلغ إن قلت علماً من أعلام الدعوة في هذا العصر مع عزوفه عن الشهرة، وقد شرفت بالعمل تحت قيادته بمعهد إعداد الدعاة بالمركز العام وباللجنة العلمية لمجلة التوحيد، وقد كنت أجلس معه الساعات الطوال في مراجعة المجلة تعلمت فيها الكثير من فضيلته، فكان الأب الحنون لنا جميعاً والمرجع فيما يشكل علينا من مسائل، وكان إذا سكت أعجبك صمته وإذا تكلم نطق بالحكمة، وقد كان رحمه الله شديد التمسك بالسنة ثابت علي الحق لا يماري ولا يدهن، وقد تعلمنا منه كيف نعف السنتنا عن المخالفين في المنهج مع بيان الحق، وقد كان رحمه الله شديد التواضع ويحترم التخصص، فكان إذا غرض عليه سؤال في الفقه أحاله علي، بل أحياناً يسألني فضيلته في بعض المسائل وهو أعلا مني علماً وقدرًا!! وقد فقدنا بموته أبا وشيخاً ومربيًا نسال الله أن يجعله مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأسوق في هذه العجالة بعض البشريات لنفسي ولإخواني وأهله، لعل في ذلك سلوى لنا عن فقدنا لشيخنا الجليل رحمه الله.

- اتصال العمل:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم]، ونحسب أن الثلاث خصال قد حازها الشيخ رحمه الله.

- تكفير الذنوب ورفع الدرجات:

في الحديث: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

ولعل ما ألم بالشيخ من مرض عانى منه كثيراً علي مدار سنوات، وبخاصة في الأشهر الأخيرة من حياته، أن يكون مكفراً لذنوبه جميعاً ورفع له درجاته عند الله تعالى.

- الشهادة:

جاء في الحديث: «الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» [رواه البخاري].

ونحسب أن الشيخ قد حاز هذه الفضيلة؛ لأنه مات من مرض البطن. وهناك الكثير والكثير من بشريات أهل الإيمان لا يسع هذا المقام لذكرها، نسال الله عز وجل أن يرحم شيخنا رحمة واسعة، وأن يجزل له الثواب علي ما قدمه لخدمة دينه، وأن يرفع في الجنة درجاته، ويجعله في أعلا عليين، فهو نعم المولى ونعم النصير.

في رعاية الله أب

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان، والصلاة والسلام على من تشرف ببعثته ودعوته الثقلان، حتى دخل في دينه أفواج الإنس والجان، فسيح بحمد ربه وانتقل إلى أعلى درجات الجنان، سيدنا محمد سيد ولد عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى من اتبعوه بإحسان.

وبعد.. أكتب هذه الكلمات عن شيخي الشيخ الراحل أبي يحيى - زكريا حسيني، وأنا يملؤني الأسى والحزن والانكسار، وقد فقدت أبا وأخاً وشيخاً ورفيقاً وأنيباً. كنا إذا جلسنا تعارفت أرواحنا واثتلفت حتى صارت روحاً واحدة في جسدين، توافق واتفاق، لا نفور ولا شقاق، يسرني ما يسره، ويضرني ما يضره، ولذلك فلو عتي عليه، وحسرتي على رحيله، لها مرارة في القلب وغصة في الحلق.

وقد سافرت إلى السعودية قبل رحيله بيومين، ولم أكن أعلم أنه سيسافر السفر الطويل، فكل ذي غيبة يثوب، وغائب الموت لا يثوب، ولولا الملامة ما عزيت أحداً من أهله؛ لأنني من أهله، وبحاجة إلى من يعزيني، ويخفف عني ويواسيني.

أبا يحيى قلن إنسانك حتى

أكمل ما رجوت غدي وأمسي

ولولا أن جل الناس حولي

نصبروني لكرهت نفسي

وإلى إخواني ومحبيه أسوق شيئاً من:

مناقبه وشماله وفضائله:

أولاً: زهده وكرهيته للشهرة:

كان رحمه الله داعية إلى الله تعالى متفرغاً لذلك مع مصارعة المرض له، محتسباً لا يبتغي في ذلك الأجر إلا من الله تعالى، وكان لا يحب الشهرة والظهور، وقد الح عليه الشيخ محمد حسان -حفظه الله تعالى- وكنا معه في المنصورة أن يشترك في حلقة على قناة الناس، قبل إنشاء قناة الرحمة،

إن العين تشارك أبا يحيى

أحمد يوسف

بقلم /

بسم الله المتفرد بالبقاء، والصلاة والسلام على من قال له ربه: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» [الزمر: ٣٠]... وبعد:

فهذه سنة الله الماضية في الأنفس «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» [آل عمران: ١٨٥]، وأنا أكتب اليوم بمناسبة موت علم من أعلم الدعوة إلى الله والمشهود له بالعلم والحلم، وهو الشيخ زكريا حسيني، رحمه الله.

فكم حاولت في حياة الشيخ صفوت نور الدين رحمه الله كما حاول غيري أن يخرج الشيخ زكريا خطيباً ومحاضراً في فروع الجماعة على مستوى الجمهورية، غير أن الشيخ صفوت رحمه الله كان يقول: إنني أخرج وأطوف بالفروع معتمداً بعد الله تعالى على ركن قوي في بلبيس يقوم على أمر الدعوة مربياً ومعلماً.

فرحم الله الشيخ زكريا من عالم جليل عرفته عن قرب، وسافرت معه في الداخل والخارج، ولكم سألته وتعلمت منه، (خاصة في مجال القراءات التي كان مبرراً فيها)، ما لم أعلم من غيره، فأنعم به من شيخ قلما تجد مثله في علمه وخلقه وحبه لإخوانه وحفظه للسانه وتوقيره للكبير ورحمته للصغير وسعة صدره واتساع أفقه.

وفي آخر لقاء لي به كان قد عزم على إجراء العملية الجراحية التي توفي متأثراً بها لم يكن يشغله مرضه ولا ألمه أكثر ما يشغله أمر الدعوة، وهو يقول: «والله يا شيخ أحمد حبسي عن الدعوة والمسجد هو المؤثر في». ومع أزيز القلوب ودموع العيون لفرق الشيخ زكريا، إلا أن المرء يستبشر خيراً بما رآه من حب الناس له وثنائهم عليه وتوافدهم من أماكن بعيدة لحضور جنازته، التي قلما يشهد المرء جنازة مثلها بهذا الحضور وهذا التأثير وهذه الدعوات، أسأل الله تعالى أن يتقبلها من الجميع. نسأل الله تعالى أن يجعل شيخنا الشيخ زكريا مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

فقدنا عالماً من أعلام السنة

يقول الشيخ رزق ساطور: فقدنا علماً من أعلام السنة وصرحاً من صروح مجلة التوحيد عرفناه عن قرب، ووجدت فيه تواضع العلماء وسعة الصدر، ونور النصيحة وقوة الحجة وسرعة البديهة وعفة اللسان ونقاء السريرة، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحداً. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقال حذيفة محمد رزق ساطور: رحيم الله شيخنا ووالدنا الكريم، فوالله ما علمته إلا أبا حنوناً وشيخاً عطوفاً، فقد كان متواضعاً تواضعاً شديداً، وكان لا يحب الظهور ولا الشهرة، علمت وسمعت عنه ذلك وعندما شاهدته رحمه الله تأكد لي أكثر عندما رأيت مواقفه أمام عيني، فكان رجلاً يندر أن نجد في زماننا مثله. فرحم الله شيخنا أبا يحيى رحمة واسعة، وجعل نريته خير خلف لخير سلف.

أبي يحيى

بقلم / جمال عبد الرحمن

والشيخ يتعذر له. رحمه الله تعالى.

ثانياً: جراته في الحق:

كان رحمه الله لا يجاري أحداً في رأيه إذا لم يكن مقتنعاً بما يقال، ويجهر بالحق لا يخاف في ذلك لومة لائم، في الوقت الذي كان لا يتكلم إلا إذا طلب منه الكلام ولا جلس صامتاً، وكل القريين منه يعلمون ذلك عنه.

ثالثاً: نذره للتعصب والتقليد:

سمعتة مرة في مسجد الحمد بأبي كبير يقول للحاضرين: "نحن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ودليلنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع حبنا لمشايخنا في انصرار السنة الحمديّة؛ هل سمعتمونا يوماً نقول: قال الشيخ فلان، أو رأى الشيخ فلان؟".

رابعاً: حبه للغة والقراءات:

كنا ونحن نراجع مجلة التوحيد إذا قابلتنا لفظة لغوية نعرفها، لكن تحتاج إلى مزيد تدقيق؛ قام واقفاً قبل الجميع ويده على كتاب لسان العرب، حتى يحرر معاني الكلمة ومشتقاتها واستعمالاتها، وكان كلما تكلم بكلمة من القرآن ذكرها بالإمالة إن كان فيها، ووجوه القراءات، لا يمل من ذلك أبداً.

فإن كنا نحزن لفراقه فعزاًؤنا أن يبده الله تعالى من هم خير منا، فما عند الله -إن شاء الله- خير له مما عندنا.

قد ودعت الناس يا زكريا

والثوار وما سرّ وساء

وتساميت مع الأملاك

وتسرّلت بسرّيات البقاء

فأنت السابق يا حبيبي مع السابقين، وإنا إن شاء الله بك من اللاحقين.

فإلى أن نلتاق بإذن الله مع الرفيق الأعلى؛ أسأل الله تعالى أن يغفر لسابقينا، وأن يحسن الخلافة على باقينا، وفي رعاية الله وامنه أبا يحيى.

أثر السياق

في فهم النص

طرق معرفة المقاصد

الحلقة (٤٠)

متولي البراجيلي

بقلم /

لمصلحة يكون عابثاً، والعبث على الله تعالى محال، للنص والإجماع والمعقول، فثبت أن الله تعالى شرع الأحكام لمصالح العباد.

واستدل ببعض النصوص الدالة على أن مطلوب الشرع هو تحقيق مصالح الخلق ودفع المضار عنهم، من ذلك قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: «خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» [البقرة: ٢٩]، وقوله: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» [الجاثية: ١٣]، وقوله: «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج: ٧٨].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بِالْحَفِيفَةِ السَّمْحَةِ». [مسند أحمد وهو في السلسلة الصحيحة: ٢٩٢٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار». [صحيح سنن ابن ماجه: ٢٣٤٠، ٢٣٤١].

ووصف نفسه بكونه رعوفاً رحيماً، وقال: «رَحِيمِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ» [الأعراف: ١٥٦]. فلو شرع ما لا يكون للعبد منه مصلحة، لم يكن ذلك رافة ورحمة. [انظر المحصول ١٧٢/٥ - ١٧٥].

ثم قال الرازي: انعقد الإجماع على أن الشرائع مصالح، إما وجوباً كما هو قول المعتزلة، أو تفضلاً كما هو قولنا. [السابق ٢٨٨/٥].

فالرازي - كما رأينا - من القائلين بالتعليل ومن المدافعين عنه، ويؤكد هذا ما أورده ابن القيم وهو يرد على منكري التعليل والقياس، فقال: «وقد اختلفت أجوبة الأصوليين بحسب أفهامهم ومعرفتهم بأسرار الشريعة، فأجاب ابن الخطيب (الرازي) بأن قال: غالب أحكام الشريعة معللة برعاية المصالح المعلومة، والخصم (أي منكر التعليل) إنما بين خلاف ذلك في صور قليلة جداً، وورود الصورة النادرة على خلاف الغالب لا يقدح في حصول الظن». [إعلام الموقعين ٤٣/٢].

وهو يقصد هنا الظن الغالب الذي هو قريباً من اليقين، وهو معمول به.

ابن حزم الظاهري وإنكار التعليل

أنكر ابن حزم الظاهري - رحمه الله - التعليل تماماً، خصص باباً كاملاً في كتابه «الإحكام» بعنوان: «الباب التاسع والثلاثون في إبطال القول بالعلل في جميع أحكام الدين». قال فيه: «وقال أبو سليمان (داود الظاهري الإمام الأول للظاهرية)، وجميع أصحابه رضي الله عنهم لا

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

ما يزال حديثنا متصلاً عن العنصر الثاني من طرق معرفة المقاصد، وهو: اعتبار علل الأمر والنهي، ورأينا أن الأحكام إما تعبدية أو معقولة المعنى، ثم انتقلنا إلى مسألة التحسين والتقبيح بالعقل بين أهل السنة من جانب، والمعتزلة والأشاعرة من جانب آخر.

وتوقفنا عند الإمام الرازي، ولماذا خصه الشاطبي بأنه وحده المنكر للتعليل إنكاراً باتاً.

الإمام الرازي والتعليل

إن ما يعنينا في بحثنا هذا - التعليل الأصولي: وهو تعليل الأحكام الشرعية، وليس التعليل الفلسفي.

فهل الرازي ينكر القياس كمصدر من مصادر التشريع المتفق عليها عند الجمهور، والقياس أساسه وحجر زاويته التعليل، كما هو معلوم.

يقول الرازي: إن الله تعالى شرع الأحكام لمصلحة العباد.. وأنه تعالى حكيم بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلا لمصلحة، فإن من يفعل لا

يفعل الله شيئاً من الأحكام وغيرها لعلّة أصلاً بوجه من الوجوه.. ثم قال: قال أبو محمد (ابن حزم) وهو ديننا الذي ندين الله تعالى به، وندعو عباد الله تعالى إليه، ونقطع على أنه الحق عند الله تعالى». [الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ٧٧/٨].

وقد بالغ ابن حزم وشنّع على من قال بالتعليل، فقال: «... إن القياس وتعليل الأحكام دين إبليس، وأنه مخالف لدين الله تعالى، نعم، ولرضاه، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من القياس في الدين، ومن إثبات علة لشيء من الشريعة، وبالله تعالى التوفيق». [الإحكام ١١٣/٨].

وقد رد ابن القيم رحمه الله على من أنكر القياس ردّاً شديداً، إذ قال: «الآن حمي الوطيس، وحميت أنوف أنصار الله ورسوله لنصر دينه، وما بعث به رسوله، وأن لحزب الله أن لا تأخذهم في الله لومة لائم، وألا ينجروا إلى فئة معينة، وأن ينصروا الله ورسوله بكل قول حق قاله من قاله». [إعلام الموقعين ٤٢/٢].

ويقول الجويني (إمام الحرمين): «الذي ذهب إليه ذوو التحقيق: أنا لا نعد منكري القياس من علماء الأمة، وحملة الشريعة، فإنهم مباهتون أولاً على عنادهم فيما ثبت استفاضة وتواتراً، ومن لم يزعج التواتر، ولم يحتفل بمخالفته، لم يوثق بقوله ومذهبه، فهوؤلاء ملتحقون بالعوام، وكيف يدعون مجتهدين ولا اجتهداء عندهم». [البرهان للجويني ٣٧/٢].

والحق أن ابن حزم ينكر كثيراً التعليل الفلسفي (بمعنى أن الشرائع شرعها الله تعالى لعل أوجبت عليه أن يشرعها) الذي يقول به الفلاسفة والمعتزلة، وهذا أنكره أهل السنة، والمتكلمون من الأشاعرة، بل دأب علماء السنة إنكار هذا على الفلاسفة والمعتزلة، ولا يقولون بوجوب شيء على الله تعالى، ولكنهم يقولون برعاية المصالح من الله تفضلاً وإحساناً، فمفهوم العلة الذي ينكره ابن حزم ينكره أيضاً أهل السنة، ولكن أهل السنة يقولون بالتعليل الأصولي الفقهي، وهذا قد يعترف ابن حزم بقدر منه، ولكنه لا يسميه علة ولا تعليل، وإنما يسميه «السبب» وهو يقرّ أن الشارع ربط بعض الأحكام بأسباب، فيقول: «ولسنا ننكر أن يكون الله تعالى جعل بعض

أدلة ابن حزم على إنكار التعليل

لعل أهم دليل عند ابن حزم يقيم عليه مذهبه في إنكار التعليل، والتشريع على المعلنين، هو قوله تعالى: «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُنَادُونَ» [الأنبياء: ٢٣]. فيقول عنها: «وقد قال تعالى واصفاً نفسه: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فأخبر تعالى بالفرق بيننا وبينه، وأن أفعاله لا يجري فيها «لَمْ»، وإذا لم يحل لنا أن نسأله عن شيء من أحكامه وأفعاله: «لَمْ كَانَ هَذَا»، فقد بطلت الأسباب جملة، وسقطت العلة البتة، إلا ما نص الله تعالى عليه أنه فعل أمر كذا لأجل كذا، وهذا أيضاً مما لا يسأل عنه، فلا يحل لأحد أن يقول: لم كان هذا السبب لهذا الحكم ولم يكن لغيره؟ ولا أن يقول: لم جعل هذا الشيء سبباً دون أن يكون غيره سبباً أيضاً؟ لأن من فعل هذا السؤال فقد عصى الله عز وجل وألحد في الدين، وخالف قوله تعالى: «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل الله عما يفعل فهو فاسق». [الإحكام ١٠٢/٨ - ١٠٣].

فلا يجوز عند ابن حزم أن نقول: إن الله تعالى حرم ذلك من أجل دفع الغيرة بين الأختين، والتي قد تؤدي إلى تقطيع الأرحام وتمزيق الأواصر في العائلة الواحدة، وهذه مفسدة عظيمة، أكبر من مصلحة زواج الأختين لرجل واحد.

ومن أدلة ابن حزم أيضاً قوله تعالى: «لَقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ» [المدثر: ٣١].

قال ابن حزم عن الآية: فأخبر تعالى أن البحث عن علة مراده تعالى ضلال؛ لأنه لا بد من هذا، أو من أن تكون الآية نهياً عن البحث عن المعنى المراد، وهذا خطأ لا يقوله مسلم، بل البحث عن المعنى الذي أراده الله تعالى فرض على كل طالب علم، وعلى كل مسلم فيما يخصه، فصح القول الثاني ضرورة ولا بد.

(أي إن ابن حزم يقول: إن الله تعالى ينهى في الآية عن السؤال، وبالطبع ليس هو السؤال عن معنى الآية، فيبقى النهي عن السؤال الثاني وهو ما العلة؟).

ثم قال ابن حزم: وقال تعالى: «فَأَلَّا يَأْتِيَنَّكَ» [البروج: ١٦]، وقال تعالى: «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ» [الأنبياء: ٢٣].

وهذه كافية في النهي عن التعليل جملة، فالمعلل بعد هذا عاص لله، وبالله نعوذ من الخذلان. [الإحكام ١١٢/٨].

واستدلال ابن حزم بقوله تعالى: «لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ» [الأنبياء: ٢٣]، وهي الآية العمدة في إنكار ابن حزم للتعليل، ليس معناها هو ما استدلل به ابن حزم، وإنما معناها أن الله تعالى لا يسأل سؤال اعتراض أو محاسبة أو أن يعترض أحد من خلقه على أفعاله وأحكامه، ولا شك أن هذا السؤال منهي عنه وهو كفر، بخلاف العباد فهم يسألون ويحاسبون عن أفعالهم وأقوالهم.

يقول ابن كثير في الآية: ... أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه، وهم يسألون: أي وهو سائل خلقه عما يعملون، كقوله: «فَوَيْلٌكَ لِمَتَلَأْنَهُمْ أَمْجِين» (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وهذا كقوله تعالى: «وَهُوَ مُجِيرٌ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» [المؤمنون: ٨٨]. [تفسير ابن كثير ٢٩٥/٥].

ويقول: «وهم دائماً يسألون ربهم (أصحاب القياس) لم فعلت كذا؟ كأنهم لم يقرعوا هذه الآية! نعوذ بالله من الخذلان». [الإحكام ١٢٥/٨].

فابن حزم يستدل بهذه الآية أمام كل باحث عن حكم الشريعة وعلل أحكامها، إلا ما كان منصوصاً عليه، ويحرم ويفسق كل تساؤل عن مقاصد الشرع وأسرار الشريعة.

وقد رد عليه الشيخ أبو زهرة بأن ابن حزم خلط بين أفعال الله وأحكامه، ونقل منع السؤال من الأفعال إلى الأحكام.

يقول الشيخ أبو زهرة: «ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عن أفعاله ولا يسأل عن أقواله؛ لأنه ليس لأحد سلطان بجوار سلطانه، إنه مالك الملك ذو الجلال والإكرام، فليس لأحد أن يستطيل فيسأل عن علة أفعاله تعالى؛ لأنه الحكيم العليم الخبير، ولكن هل يقتضي هذا النهي عن أن يبحث عن علة النصوص في الشريعة؟

إنني أرى أن الفارق كبير بين علة النصوص الشرعية وعلة أفعال الله تعالى؛ لأن البحث عن علة النصوص في الشريعة، تعرف للمراد منها والمطلوب». انظر تاريخ المذاهب الفقهية لأبي زهرة: ٤٣٠، ٤٣١.

لكن ابن حزم يستدل على منع التعليل - أيضاً - بقوله تعالى: «فَأَلَّا يَأْتِيَنَّكَ» [البروج: ١٦]. وبقوله تعالى: «لَا مَعْصِيَةَ لَاحِكَةٍ» [الرعد: ٤١].

أي إن الله تعالى يفعل ما يريد، ويحكم بما يريد، فليس الكلام عن الأفعال والأقوال فقط كما قال الشيخ أبو زهرة، بل يدخل فيها ابن حزم الأحكام؛ ولأن أحكامه تعالى من أفعاله، ولأن أفعاله فيها نوع من أحكامه.

ثم إن ابن حزم لا ينكر أن تعرف المراد والمطلوب من النص - الذي أثبته الشيخ أبو زهرة - وهناك فارق بين معرفة المراد والمطلوب من النص، وتعليل النص، ففي قوله تعالى - على سبيل المثال -: «وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» [النساء: ٢٣]، فالمراد والمطلوب من الآية أن لا يجمع بين الأختين في عصمة زوج واحد، في وقت واحد، فهذا حكمه التحريم، أما تعليل التحريم فهذا شيء آخر، وهو السؤال عن علة تحريم الجمع بين الأختين؟ وهذا ما ينكره ابن حزم، بل يحرمه ويفسق قائله.

وسلم، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: لا، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم. [أبو داود وصححه الألباني].

فجاء الحديث بصيغة الأمر، والمقاصد الأخرى التابعة - وهي معتبرة - أقرها الشرع، كالسكن والمودة والرحمة، «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» [الروم: ٢١]، والمال والجمال والحسب، كما بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه.

والقيام على المصالح، كما في حديث جابر رضي الله عنه عندما تزوج امرأة ثيباً للقيام على مصالح إخوته وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بقوله: «بارك الله لك». والحديث متفق عليه.

وأيضاً كل ما لم ينص عليه - لكنه يؤدي إلى تحقيق مقصود الشارع من النكاح - فهو معتبر. وكذلك في العبادات، فهناك مقصود أساسي أصيل، ومقاصد تابعة.

فالصلاة، مقصود أساسي، أما الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والأذان للتعريف بالوقت وإظهار شعائر الإسلام وغيرها، فهي مقاصد تابعة خادمة للمقصد الأصلي وهو الصلاة، وإن كانت المقاصد التابعة واجبة.

- وطلب العلم، المقصد الأصلي منه، بالنسبة لطلبه، هو: التعبد.

وله مقاصد تابعة: من تعظيم أهل العلم؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء، ومن المناقب الحميدة في الدنيا، والمآثر الحسنة، والمنازل الرفيعة، وغير ذلك، فهذا غير مقصود من العلم شرعاً، وإن كان صاحبه يناله.

لكن ينبغي أن يفرق بين مقصد خادم (تابع) للمقصد الأصلي، فالمقصد إليه ابتداء صحيح، وبين مقصد غير خادم للمقصد الأصلي، كتعلم العلم للرياء أو لممارسة السفهاء، فالمقصد إلى ذلك ابتداءً غير صحيح.

والحمد لله رب العالمين

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

تذكرة: نتكلم في طرق معرفة المقاصد من عدة حلقات، فذكرنا منها اثنتين هما:

أولاً: مجرد الأمر والنهي، الابتدائي التصريحي.

ثانياً: اعتبار علل الأمر والنهي.

ثالثاً: اعتبار المقاصد التابعة

(أي الخادمة للمقاصد الأصلية)؛

إن للشارع في شرع الأحكام العادية والعبادات مقاصد أصلية (أساسية) تعتبر الغاية الأولى والعليا للحكم، ومقاصد تابعة للأساسية ومكملة لها.

مثال ذلك: النكاح، فإنه مشروع للتناسل على المقصد الأول، ويليه طلب السكن والازدواج، والتعاون على المصالح الدنيوية، والأخروية، من الاستمتاع بالحلال، والنظر إلى ما خلق الله من المحاسن في النساء، والتجمل بمال المرأة، أو قيامها عليه وعلى أولاده منها أو من غيرها، أو إخوته، والتحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفرج ونظر العين، والازدياد من الشكر بمزيد النعم من الله على العبد، وما أشبه ذلك، فجميع هذا مقصود للشارع من شرع النكاح، فمنه منصوص عليه أو مشار إليه، ومنه ما علم بدليل آخر ومسلك استقرئ من ذلك المنصوص، ذلك أن ما نص عليه من هذه المقاصد التوابع هو مثبت للمقصد الأصلي، ومقوٍ لحكمته، ومستدع لطلبه وإدامته، ومستجلب لتوالي التراحم والتواصل والتعاطف، الذي يحصل به مقصد الشارع الأصلي من التناسل.

وعند ذلك يتبين أن نواقض هذه الأمور مضادة لمقاصد الشارع بإطلاق، من حيث كان مآلها إلى ضد المواصلة والسكن والموافقة.

كما إذا نكحها ليحلها لمن طلقها ثلاثاً (نكاح التحليل: هو أن يتزوج رجل امرأة بعد طلاقها ثلاثاً على اتفاق أن يحلها لزوجها الأول، وهو حرام)..

وكذلك نكاح المتعة (نكاح المتعة: أن يتزوج رجل امرأة لمدة مؤقتة متفق عليها قلت أو كثرت، وهو حرام). (انظر الموافقات ١٣٩/٣ - ١٤٠).

فكل ما من شأنه التراحم والتواصل والتعاطف، الذي يحقق المقصد الأصلي من الزواج، وهو التناسل: كما في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه

رواحة التوحيد

من نور كتاب الله

من أسباب التمكين

قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧].

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام في شعبان

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة - رضي الله عنها - عن صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان يصوم شعبان أو عامة شعبان». [أخرجه النسائي وصححه الألباني].

حكم ومواظب

عن قيس بن أبي حازم قال: بكى ابن رواحة، وبكت امرأته، فقال لها ابن رواحة: «ما يبكيك؟» قالت: بكينا حين رايناك تبكي، فقال عبد الله: «قد علمت أنني وارد النار، فلا أدري أناج منها أم لا؟» [الزهد لابن المبارك].

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، والفاقة، والذلة، وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

من فضائل الصحابة

الشهادة لعلي بن أبي طالب بحب الله ورسوله

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه»، فقال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فتطاولت لها، قال: فقال لعلي: «قم» فدفع اللواء إليه. [مسند أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

احداث خضر

من دلائل النبوة

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اشهدوا». [صحيح البخاري].

فضائل شهر شعبان

عن أسامة بن زيد - رضي الله عنه -، قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم» [أخرجه النسائي وصححه الألباني]

من أقوال السلف

اختر لنفسك واحدة من أربع!

عن الحسن بن أبي الدرداء، قال: «كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك». قال: فقلت للحسن: من الخامسة؟ قال: «المبتدع». [الإبانة].

من نصائح السلف في وقت اختلاط واضطراب الأمور

عن عبد الله قال: «إنها ستكون أمور مشبهات، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعاً في الخير، خير من أن تكون رأساً في الشر». [الإبانة].

من أخلاق السلف

كانوا لا يتاجرون بصلاحهم

عن رجاء بن أبي سلمة قال: بُنِيتُ أن ابن محيريز، دخل على رجل من البزازين يشتري شيئاً، فقال له رجل: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيريز (أي أنه كان معروفاً بالصلاح والعلم)، فقام فقال: «إنما جئنا لنشتري بدهامنا ليس بديننا». [الزهد لأحمد].

أحكام الصلاة

شروط الصلاة

استقبال القبلة

د. حمدي طه

٤٠١ إعداد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا

نبي بعده:

أما بعد، فما يزال حديثنا متصلاً عن أحكام الصلاة، ونتناول في هذا العدد الشرط الخامس من شروط صحة الصلاة، ألا وهو استقبال القبلة، فنقول وبالله تعالى التوفيق ومنه المعونة:

لقد اتفق الفقهاء على أن استقبال القبلة شرط في صحة الصلاة، والمراد بالقبلة الكعبة، وسُميت قبلة؛ لأن الناس يستقبلونها بوجوههم ويؤمنونها ويقصدونها.

وهو من شروط الصلاة بدلالة الكتاب، والسنة: أما الكتاب فقولته تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ يُغَلَّ بِكَوْنِ النَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِيْنِ يَمُنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» [البقرة: ١٥٠].

وأما السنة: فكثيرة؛ منها: قوله صلى الله عليه وسلم للمسيء في صلاته: «إذا قمت إلى الصلاة فأسيغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر» [متفق عليه].

ويُستثنى من ذلك حالتين: في شدة الخوف، وصلاة النافلة للمسافر على الراحة.

وقيد المالكية والحنفية شرط الاستقبال بحالة الأمن من عدو وسبُع وبحالة القدرة، فلا يجب الاستقبال مع الخوف، ولا مع العجز كالمربوط والمريض الذي لا قدرة له على التحول ولا يجد من يحوله، فيصلي لغيرها إلى أي جهة قدر؛ لتحقيق العذر.

واتفق العلماء على أن من كان مشاهداً معانياً للكعبة: ففرضه التوجه إلى عين الكعبة يقيناً. وأما غير المعين للكعبة ففرضه عند الجمهور (غير الشافعية) إصابة جهة الكعبة،

والسبب في اختلافهم هو: هل في قوله تعالى: «قَوِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» محذوف حتى يكون تقديره: ومن حيث خرجت قول وجهك شطر

المسجد الحرام، أم ليس هاهنا محذوف أصلاً، وأن الكلام على حقيقته؟ فمن قدر هناك محذوفاً قال: الفرض الجهة، ومن لم يقدر هناك محذوفاً قال: الفرض العين والواجب حمل الكلام على الحقيقة حتى يدل الدليل على حمله على المجاز، وقد يقال: إن الدليل على تقدير هذا المحذوف قوله عليه الصلاة والسلام: «ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجه نحو البيت» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

قالوا: واتفاق المسلمين على الصف الطويل خارج الكعبة يدل على أن الفرض ليس هو العين، أعني إذا لم تكن الكعبة مبصرة. وهذا هو الأرجح. والمطلوب عند أئمة المذاهب في إصابة جهة الكعبة محاذاتها ببدينه وينظره إليها، بأن يبقى شيء من الوجه مساماً (محاذياً) للكعبة.

الحكمة من استقبال الكعبة:

أن يتجه الإنسان ببدينه إلى مُعْظَم بامر الله وهو البيت، كما يتجه بقلبه إلى ربه في السماء، فهنا اتجاهان: اتجاه قلبي واتجاه بدني، الاتجاه القلبي إلى الله عز وجل، والاتجاه البدني إلى بيته الذي أمر بالاتجاه إليه وتعظيمه، ولا ريب أن في إيجاب استقبال القبلة من مظهر اجتماع الأمة الإسلامية ما لا يخفى على الناس، لولا هذا لكان الناس يصلون في مسجد واحد، أحدهم يصلي إلى الجنوب، والثاني إلى الشمال، والثالث إلى الشرق، والرابع إلى الغرب!!! وقد تتعذر الصفوف في الجماعة، لكن إذا كانوا إلى اتجاه واحد صار ذلك من أكبر أسباب الاختلاف.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يصلي إلى بيت المقدس، ولكن الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيكون مقامه في صلاته بين الركن اليماني والحجر الأسود؛ لتكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس، ولما هاجر إلى المدينة بقي بأمر الله عز وجل يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً وبعض السابعة عشر،

ثم بعد ذلك أُمِرَ بالتَّوجُّه إلى الكعبة.

الاجتهاد في القبلة:

يجب التحري والاجتهاد في القبلة، أي بذل المجهود لنيل المقصود بالدلائل على من كان عاجزاً عن معرفة القبلة، واشتبهت عليه جهتها. والدليل على وجوب التحري: ما روى عامر بن ربيعة أنه قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: **فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ**» [البقرة: ١١٥] [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وما يستدل به على القبلة أشياء:

الأول: خبر ثقة، سواء أخبره عن يقين أم عن اجتهاد، فإنه يعمل بقوله كما نعمل بقول الثقة بالاجتهاد في مسائل الدين؛ الحلال والحرام والواجب، فكيف لا نعمل به في إخباره بالقبلة؟! فلو أخبره ثقة رجل أو امرأة أن هذه هي القبلة، لزم الأخذ بقوله، والثقة تستلزم العدالة والخبرة، فإن لم يكن عدلاً فليس بثقة؛ لقول الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** [الحجرات: ٦] فأوجب الله سبحانه وتعالى أن نتبين، وأن نتثبت في خبر الفاسق، ولم يوجب رده مطلقاً؛ ولا قبوله مطلقاً، ولا يشترط أنه يخبره ثقتان، وهذا بخلاف الشهادة؛ لأن هذا خبر ديني فاكثف في بقول الواحد، كما نعمل بقول المؤذن بدخول الوقت. ولو كان المخبر امرأة يوثق بقولها؛ لكونها عدلاً وذات خبرة، فإننا نأخذ بقولها. والعلة: أن هذا خبر ديني فيقبل فيه خبر المرأة كالرواية، فإننا نقبل فيها قول المرأة إذا كانت عدلاً حافظة.

الثاني مما يستدل به على القبلة: المحاريب

الإسلامية:

فإذا وجدت محاريب إسلامية فإنه يعمل بها؛ لأن الغالب بل اليقين أن لا تبني إلا إلى جهة القبلة. والمحاريب: جمع محراب، وهو طاق القبلة الذي يقف نحوه الإمام في الجماعة.

الثالث مما يستدل به على القبلة: القطب:

وهذا دليل آفاقي، أي: دليل على الأفق. والقطب: هو الشيء الذي تدور عليه الأشياء، وهو أصل الشيء، وهو نجم خفي، قال العلماء: لا يراه إلا حديد البصر في غير ليالي القمر، إذا كانت السماء صافية، والدليل على اعتبار النجوم دليلاً قوله

تعالى: **وَيَا لَنَجْمٍ هُمْ يَعْبُدُونَ** [النحل: ١٦]، فإن الله سبحانه وتعالى أطلق الإهتداء بالنجم، فالنجم يهتدى به على الجهات لكل غرض.

الرابع مما يستدل به على القبلة الشمس والقمر: لأن كلاهما يخرج من المشرق ويغرب من المغرب، فإذا كنت عن الكعبة غرباً فالقبلة شرقاً، وإذا كنت عن الكعبة شرقاً، فالقبلة غرباً، وإذا كنت عن الكعبة شمالاً فالقبلة جنوباً، وإذا كنت عن الكعبة جنوباً فالقبلة شمالاً.

الخطأ في الاجتهاد:

الحنفية والحنابلة يقررون البناء على الصلاة في أثنائها، فإن كان في الصلاة استدبار وبني عليها أي أكمل صلاته، ولا يوجبون الإعادة في حال الاجتهاد وتبين الخطأ بعد الفراغ من الصلاة، ولا إعادة عليه لما مضى، لإتيانه بما في وسعه.

وكذلك تستدير الجماعة مع الإمام إن بان لهم الخطأ في حال واحدة، وإن تبين خطأ اجتهاده بعد الصلاة، بأن صلى إلى غير جهة الكعبة يقينا لم يلزمه الإعادة، ومخالفة المأمومين لإمامهم لا تمنع صحة الصلاة، إلا المقيم في الحضر عند الحنابلة فعليه الإعادة؛ لأن الحضر ليس بمحل الاجتهاد؛ لأن من فيه يقدر على معرفة القبلة بالمحاريب، ويجد من يخبره عن يقين غالباً، فلا يكون له الاجتهاد، كالقادر على النص في سائر الأحكام.

والمالكية والشافعية يقررون قطع الصلاة إذا عرف الخطأ فيها، إن كان بصيراً ومنحرفاً كثيراً، بأن استدبر أو شرب أو غرب، وابتدأها بإقامة، ولا يكفي تحوله لجهة القبلة. فإن كان منحرفاً انحرافاً بسيطاً، فلا إعادة عليه. وإن كان بصيراً منحرفاً كثيراً أو ناسياً للجهة التي أداها اجتهاده إليها، أو التي دله عليها العارف، أعاد في الوقت على المشهور، والشافعية يوجبون الإعادة مطلقاً في الوقت وبعده، لتبين فساد الأولى. [الفقه الإسلامي وأدلته ٦٧١/١].

وسبب الخلاف في ذلك معارضة الأثر للقياس مع الاختلاف أيضاً في تصحيح الأثر الوارد في ذلك. أما القياس فهو تشبيه الجهة بالوقت؛ أعني بوقت الصلاة، وذلك أنهم أجمعوا على أن الفرض فيه هو الإصابة، وأنه إن انكشف للمكلف أنه صلى قبل الوقت أعاد أبداً، ووجه الشبه بينهما أن هذا ميقات وقت، وهذا ميقات جهة.

وأما الأثر فحديث عامر بن ربيعة قال: كنا مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء في سفر فخفيت علينا القبلة فصلى كل واحد منا إلى وجهه، فلما أصبحنا فإذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة، فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «مضت صلاتكم» ونزلت: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَحَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

وعلى هذا فتكون هذه الآية محكمة، وتكون فيمن صلى فانكشف له أنه صلى لغير القبلة، والجمهور على أنها منسوخة بقوله تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» [البقرة: ١٤٩] فمن لم يصح عنده هذا الأثر قاس ميقات الجهة على ميقات الزمان، ومن ذهب مذهب الأثر لم تبطل صلاته. [بداية المجتهد ١/١١٢].

وإن اجتهد مجتهدان فاختلفا جهة، أي: بذل الجهد في معرفة القبلة، فلا يجوز أن يتبع أحدهما الآخر؛ لأن كل واحد منهما يعتقد خطأ الآخر، وهذا فيما إذا كان الاختلاف في جهتين.

والمجتهد في جهة القبلة هو: الذي يعرف أدلتها، كما أن المجتهد في باب العلم هو الذي يعرف أدلة العلم، فالناس بالنسبة للقبلة إما مجتهد يعرف كيف يستدل بأدلتها، وإما مقلد لا يعرف ولا يدري. فاما إذا اختلفا في جهة واحدة؛ بان اختلفا في الانحراف في جهة واحدة، فهنا لا بأس أن يتبع أحدهما الآخر، مثل: أن يتجها إلى الجنوب لكن أحدهما يميل إلى الغرب، والآخر يميل إلى الشرق فلا بأس للذي يميل إلى الغرب أن يتبع الذي يميل إلى الشرق، ويميل معه إلى الشرق أو العكس؛ لأن الانحراف في الجهة لا يضر؛ ولا يخل بالصلاة وأما المقلد ففرضه التقليد. [الشرح الممتع ٢/٤٥].

صلاة النافلة على الراحلة للمسافر:

يجوز التطوع على الراحلة للمسافر باتجاه مقصده بإجماع العلماء؛ وذلك لما ثبت في السنة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي على دابته من الليل وهو مسافر، ما يبالي حيث ما كان وجهه. وقال ابن عمر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح على راحلته قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة». رواه البخاري.

فإذا قال قائل: هذا استثناء من عموم نصوص الكتاب والسنة، فقد قال الله تعالى: «وَمِنْ حَيْثُ

خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» [البقرة: ١٥٠]. وهذا عموم من أقوى العمومات، فإن «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ» جملة شرطية من أقوى العمومات؛ فما الذي أخرج هذه الحال من هذا العموم؟

فالجواب: أخرجتها السنة؛ بفعل الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذه السنة خصت عموم الآيات والحديث. فإن قال قائل: أفلا يمكن أن يكون هذا قبل وجوب استقبال القبلة؟ قلنا: لا يمكن؛ لأن الصحابة استثنوا الفرائض، فدل هذا على أنه بعد وجوب استقبال القبلة.

فإذا قال قائل: ما نوع هذا التخصيص؟ قلنا: هذا في الحقيقة من غرائب التخصيصات؛ لأنه قرآن خص بسنة، وقول خص بفعل، يعني: لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: من تنقل في السفر فلا يستقبل. ومعلوم أن تخصيص قول بفعل، أضعف من تخصيص قول بقول؛ لاحتمال الخصوصية، ولاحتمال العذر، بخلاف القول.

وأيضاً: تخصيص القرآن بالسنة أضعف من تخصيص القرآن بالقرآن. ولكن نقول: إن السنة تكون من الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله الصريح؛ أو بأمره الحكيم الذي يقر الله سبحانه وتعالى فيه نبيه على ما قال أو على ما فعل، ولهذا إذا فعل الرسول عليه الصلاة والسلام شيئاً لا يقره الله عليه بيته، كما قال الله تعالى له: «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَسْمَأَ لَكَ الْيَتِيمَ صَدَقُوا وَنَعْلَمُ الْكَذِيبِينَ» [التوبة: ٤٣].

فإذا؛ نقول: إن فعل الرسول عليه الصلاة والسلام في ترك استقبال القبلة في التنقل في السفر كان بأمر الله الحكيم؛ لأنه أقره، فيكون ما جاءت به السنة كالذي جاء به القرآن تماماً في أنه حجة.

وللفقهاء آراء وشروط في صلاة النافلة على الراحلة:

والخلاصة: أن الفقهاء اتفقوا على جواز الصلاة على الراحلة في السفر الطويل، وعلى كون الصلاة بالإيماء، واختلفوا في السفر القصير، فأجازها الشافعية والحنابلة، ومنعها المالكية والحنفية.

واشترط الحنابلة والشافعية شرطين، أحدهما: أن يكون سائراً. **الثاني:** أن يكون في سفر مباح. قال الحنابلة والشافعية: يجوز للمسافر الراكب

والثاني: أنه فعل، ومجرد الفعل لا يدل على الوجوب. وحديث ابن عمر وغيره من الأحاديث عامة: «أنه كان يصلي حيث كان وجهه» رواه البخاري. وظاهرها أنه من ابتداء الصلاة إلى انتهائها. والصحيح في هذه المسألة أن الأفضل أن يبتدئ الصلاة متجهاً إلى القبلة، ثم يتجه حيث كان وجهه، أما أن يكون واجباً بمقتضى هذا الدليل المعارض للدلالة التي هي أصح منه ففي النفس منه شيء.

حكم الصلاة في الطائرة والقطار والسفينة:

الصلاة جائزة في الطائرة وهي محلقة في الجو، وبالأولى إذا كانت رابضة على الأرض، والمالكية لا يجيزونها فيها وهي في الجو؛ لأن شرط السجود عندهم أن يتصل المسجود عليه بالأرض اتصالاً حقيقياً، وراي الجمهور أقوى، والإنسان يضطر إلى الصلاة في الطائرة إذا كان السفر يستغرق وقتاً طويلاً كالسفر من مصر إلى الصين أو غيرها من البلاد البعيدة، أو كان تحليقها في وقت الفجر الذي لا يجمع مع غيره.

ويتحرى المصلي اتجاه القبلة - والملاحون يعرفون ذلك بالتقريب - إن لم تكن معه أداة «بوصلة» يُتعرّف بها القبلة، وزمن أداء الصلاة قصير؛ لأن الرباعية تصلى ركعتين قصراً، فإن لم يستطع الصلاة من وقوف - لحصول دوار مثلاً - فليصل قاعداً، والواجب على المسلم في الطائرة إذا حضرت الصلاة أن يصليها حسب الطاقة: فإن استطاع أن يصليها قائماً ويركع ويسجد فعل ذلك، وإن لم يستطع صلى جالساً وأوماً بالركوع والسجود، فإن وجد مكاناً في الطائرة يستطيع فيه القيام والسجود في الأرض بدلاً من الإيماء وجب عليه ذلك؛ لقول الله سبحانه: «فَأَنقُرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [التغابن: ١٦] وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين رضي الله عنهما وكان مريضاً: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب» رواه البخاري في الصحيح، ورواه النسائي بإسناد صحيح، وزاد: «فإن لم تستطع فمستلقياً» والأفضل له أن يصلي في أول الوقت، فإن أخرها إلى آخر الوقت ليصليها في الأرض فلا بأس، لعموم الأدلة. وحكم القطار والسفينة حكم الطائرة [انظر في هذا فتاوى الأزهر (٤٨٤/٨)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٢٠/٨) وفتاوى الشيخ ابن باز (٦٠/٧)].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

لا الماشي، سفرًا طويلاً أو قصيراً أن يتطوع في السفر على الرحلة إذا قصد جهة معينة، ويومئ بالركوع والسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع، قال جابر: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة فجئت وهو يصلي على راحلته نحو المشرق، والسجود أخفض من الركوع» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

وإن عجز عن الاستقبال سقط بغير خلاف، كما يسقط الاستقبال لأعذار أخرى كالنحام حرب، وهرب من سيل أو نار أو سُبُع ونحوه، ولو كان العذر نادراً كمريض عجز عن الاستقبال، وكمُقْعَد عجز عن يديه إلى القبلة، وكمربوط ونحوه.

وإن عجز عن الاستقبال في ابتداء صلاته، كراكب راحلة لا تطيعه، أو كان في قافلة (قطار) فليس عليه استقبال القبلة في شيء من الصلاة. ولا يسقط الاستقبال إذا تنقل في الحضر كالراكب السائر في مصره أو قريته؛ لأنه ليس مسافراً، فإن قيل: إذا كان المسافر نازلاً في مكان، فهل يجوز أن يتنقل إلى غير القبلة؟ فالجواب: لا؛ لأن تخصيص العام يقتصر فيه على الصورة التي وقع فيها التخصيص فقط. فإن قيل: إذا كان الإنسان في بلده، لكن البلد متباعد الأحياء؛ فهل له أن يتنقل في هذه الحال إلى جهة سيره؟ فالجواب: ليس له ذلك؛ لأنه غير مسافر.

هل يلزم المسافر افتتاح الصلاة إلى القبلة؟

هو شرط عند الشافعية والحنابلة في بداية الإحرام بالصلاة عند الإمكان، ويسقط بالعجز، ودليل اشتراط استقبال القبلة في ابتداء الصلاة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه أبو داود وغيره أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر؛ فأراد أن يتطوع؛ استقبل بناقته القبلة؛ فكبر، ثم صلى حيث وجهه ركابه. والحديث حسنه الألباني.

قالوا: فهذا دليل على أنه يجب افتتاح الصلاة إلى القبلة؛ لأن تكلف النبي صلى الله عليه وسلم ومعاناته لإيقاف البعير واتجاهه إلى القبلة وقطع المسير يدل على أنه أمر واجب. وقال الحنفية والمالكية: إنه ليس بشرط. وأجابوا عن هذا الحديث بأمريين:

أولاً: أنه ليس إلى ذاك في الصحة، وغاية ما قيل فيه: إنه حسن.

من فقه لإدارة الرحمة «٢»

التدريب العملي

د. محمد يسري / إعداد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه
أجمعين. أما بعد:

فقد تعرضنا في المقالة السابقة لأهمية
التخطيط الدعوي، ونعرض في هذه المقالة
لأهمية التدريب العملي:

ومما ينبغي أن يكون متقررًا أنه إذا اكتمل
شان التخطيط وأحكم أمر الإعداد، فإن
التدريب العملي ينبغي أن يسبق التنفيذ
الفعلي:

والتدريب في ساحة الدعوة هو الذي يُسد
الثغرة ويردم الهوة بين الدراسة النظرية في
الكليات والمعاهد الشرعية وبين الممارسة
العملية في المساجد والمراكز الدعوية
والمدارس والمحاضن التربوية والأعمال
الإعلامية.

وإذا كان الدخول إلى الساحة الدعوية بدون تدريب عملي مسبوق
اكتفاءً بالدراسة النظرية أمرًا عجيبيًا، فإن العجب والأغرب من يكتب
أو يتحدث موجهًا وناقذًا دون أن يمارس أو يعالج شيئًا من ذلك،
اعتمادًا على شهادة أكاديمية فحسب!

ولا شك أن انفصال الجانب العلمي عن العملي مكمّن من مكامن
الداء، وسبب من أسباب الخلل في الواقع المعاصر في الدعوة
والتربية والتغيير.

منهج السلف في تدريب الناشئة

ولقد كان أسلافنا الصالحون يربون ناشئتهم بين أيديهم في
ساحة التلقي الأولى: المساجد، ففيها تتلقى العلوم النظرية، وتُرى
وتسمع وتُمارَس التطبيقات العملية، فكان علم الدعوة -تأصيلًا
وتنظيرًا- يُتلقى مع عملها ممارسة وتطبيقًا بمشاهدة الشيوخ
ومخالطة العلماء، وبالممارسة بحضرة الكبار وبالتقويم الحاضر
والتوجيه الناجز.

ومع تقدم في الزمان وتبدل في الأحوال انفصل التعليم عن التدريب،
وافترق التنفيذ إلى التأهيل، فغابت الثمرة المرجوة، وانتشرت الأمية
العملية، وصار مألوفًا اليوم أن يرتقي الداعية منبرًا أقلًا يعجم حرفًا،
ولا يقيم لفظًا؛ ولا يحسن وعظًا!

ولا شك أن الداعية المؤهل هو الذي تلقى تدريبًا يمكنه من مواجهة
الناس في المسجد إمامًا معلمًا، وفي الدرس مربيًا مرشدًا، وفي
مراكز الدعوة والتأثير إداريًا ناجحًا، وقائدًا ميدانيًا موفقًا.

وبسبب من ضعف العناية بالتدريب يتحمل نحو خمسة بالمائة من
الدعاة عبء الدعوة في حين يبقى أغلبهم في مقاعد المتفرجين أو
المعطّلين، ولأجل هذا القصور تنكفئ الدعوات على نفسها أكثر من
انفتاحها على غيرها؛ بحيث يصير الخطاب داخليًا في معظمه،
محليًا في إنتاجه واستهلاكه.

إن الدعوات الناجحة هي التي تحمل أبنائها على التأهل العلمي
والعملي، وتضم إلى ذلك العناية بالصالح الذاتي والممارسة العملية
المنضبطة بضوابط المشروعية، والوعي بالتراتب والسياسات
الإدارية والتنظيمية، اللازمة لنجاح مشروع إسلامي.

نماذج نبوية

ومن اللافت للنظر أن كل أمر ذي بال لا بد من تدريب ومران
عليه وتأهيل لممارسته، فسياسة الخلق وهداية الأنام قد تبدأ من
رعي الأغنام، وفي الحديث: «فما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»
[البخاري (٢٢٦٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: قال العلماء «الحكمة في إلهام الأنبياء
من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم الثمرن برعيها على ما
يكفونه من القيام بأمر أمتهم» [فتح الباري (٥/١٠)].

ولما أمر صلى الله عليه وسلم بمعالجة الخلق أوجب الله عليه
القيام بدلًا من المنام وأنزل عليه «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ قُمْ إِلَى آلِكَ»
[المزمل: ١-٢] وعندها قال صلى الله عليه وسلم: «مضى عهد
النوم يا خديجة». فلما نزل القرآن متتابعًا كان يدرسه عليه جبريل
عليه السلام ويراجعه معه كل ليلة في رمضان. [أخرجه البخاري
(٦، ٣٢٢٠، ٣٥٥٤) ومسلم (٢٣٠٨)].



الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

ونقل رحمه الله عن ابن المبارك قوله: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» اهـ، وقال السيوطي في تدريب الراوي: «قال سفيان الثوري: الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟! اهـ».

والثابت أن نقل الأحاديث لم يكن مشافهة فقط وإنما كان تدويناً أيضاً، فقد كان الصحابة يكتبون الحديث في حياته صلى الله عليه وسلم، وكانوا يحفظونه أيضاً، ثم نقله عنهم التابعون، وقد بدأ تدوين الحديث تدويناً عاماً وجمعه في زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو من التابعين، وأما قول من قال: إنه أدخل على الحديث النبوي ما ليس منه فهو صحيح، إلا أن أهل العلم قد بينوا الدخيل، وذلك وفقاً لضوابط علمية عظيمة ودقيقة، تفردت بها أمة الإسلام؛ حيث اشترطوا لقبول الحديث أن يكون راويه عدلاً ضابطاً لما يرويه، وأن يتصل السند إلى منتهاه، بحيث يكون كل راو سمعه ممن فوقه، واشترطوا أيضاً سلامة الحديث من الشذوذ والعلة، فإذا اختل شرط من ذلك لم يقبلوا الحديث، وتفصيل كل ذلك في كتب مصطلح الحديث، وقد ألف العلماء كتباً في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وهي كثيرة جداً، وكذلك ألفوا في الأحاديث الصحيحة والمقبولة.

الشبهة الرابعة: قالوا عن قصة الغامدية: «إن القصة كفيلة بتشويه الإسلام وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام..... هذه القصة المؤلة حيكت خصيصاً للإجابة على سؤال فقهي، هو إذا كان حد الزنا هو الرجم، أي الموت، وليس الجلد كما في القرآن، فكيف إذا كانت الزانية المحصنة حاملاً من هذا الزنا أو من قبله؟ وهل يحكم عليها وعلى مولودها بالموت؟ لذلك جاءت الفتوى في هذا الحديث بإمهال المرأة إلى أن تضع وليدها وتقطعه، وكانهم بذلك قد أراحوا ضمائرهم حين يكفل الطفل آخرون بعد إعدام أمه في تشريع ليس له أصل في القرآن أو في الإسلام، ولم يعرفه الرسول عليه الصلاة والسلام.

وفي تفصيلات قصة الغامدية التي هشم خالد بن الوليد رأسها بحجر ثم شتمها يروي صانع القصة أن النبي قال لخالد وهو يعاتبه - فيما يزعمون - «لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» وصاحب المكس هو من يجمع الضرائب عند المنافذ التجارية. وقد ورد هذا المصطلح في الإنجيل مقترناً بالظلم «المكاسون» أو «العشارون». وهو

الشبهات المثارة حول

أحاديث الرجم

الحلقة العاشرة

المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد:

فما يزال الحديث موضوعاً عن الرد على الشبهات المثارة على أحاديث الرجم، ونستعرض في هذا المقال - إن شاء الله - بعض الشبهات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعاً: قولهم: «فإن الإسناد الشفهي عبر رواية مختلفين في الزمان والمكان والظروف لا يستقيم مع المنهج العلمي...» مردود عليه بالآتي: أي منهج علمي يتحدثون عنه، ومن الذي وضعه، بل إن الله اختص هذه الأمة بأنها أمة السند، والإسناد من الدين، قال الإمام مسلم في صحيحه: «باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب، وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة، حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ وَهْشَامٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَحَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينَ فَنَنْظُرُوا عَنْ تَأْخُذُونَ بِنَتَكُمْ...» وقال: «عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن

وإعدام النساء أمر موجود بهذه الدول إذا ارتكبت جريمة تستحق تلك العقوبة، فلماذا التشغب على حدود الإسلام؟ اللهم إلا الحقد الدفين من هؤلاء على الإسلام وتشريعاته.

ثانياً: ما أثاروه بالنسبة لكلمة مكس: قالوا: «إن المكسين والعشارين مصطلح ساد في الشام قبل الإسلام.... إلخ» فمردود عليه بأن هذا من جهلهم باللغة والقرآن والتاريخ، فقد قال صاحب عون المعبود: «صاحب مكس: في القاموس: المكس النقص والظلم، وذرَاهِم كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنْ بَائِعِي السِّلْعِ فِي الْأَسْوَاقِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ يَرْهَمُ كَأَن يَأْخُذَهُ الْمُصَدِّقُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْتَهَى. وَقَالَ فِي النَّهَايَةِ: هُوَ الضَّرِيَّةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمَكْسُ وَهُوَ الْعَشَارُ أَنْتَهَى. وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ: أَرَادَ بِصَاحِبِ الْمَكْسِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ التَّجَارِ إِذَا مَرُّوا مَكْسًا بِاسْمِ الْعُشْرِ، فَأَمَّا السَّاعِي الَّذِي يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ وَمَنْ يَأْخُذُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الْعُشْرَ الَّذِي ضَوَّلُوا عَلَيْهِ فَهُوَ مُحْتَسِبٌ مَا لَمْ يَتَّعِدْ فَيَأْتِمْ بِالْتَّعَدِّي وَالظُّلْمِ» اهـ.

وقال ابن كثير: «وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ» [الأعراف: ٨٦] أي طريق «توعدون» أي تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس، وغير ذلك وتخيفون السبل. [البداية والنهاية ١/١٨٦ ط: دار المعارف].

وقال القرطبي: وعن ابن عباس قال: إن قوم لوط كانت فيهم الفاحشة، منها أنهم يتظالمون فيما بينهم، ويشتم بعضهم بعضاً، ويتضارطون في مجالسهم.... ويضربون المكوس على كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله " اهـ، [تفسير القرطبي ١٣/٣٤٢ ط: دار الكتب المصرية].

ثم وعلى فرض أن أصل الكلمة شامية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عبر بصاحب المكس عبر بشيء يعرفه الصحابة، فلقد غفل هؤلاء الجهلاء عن أن الصحابة كانوا يذهبون إلى الشام للتجارة، وقد ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في تلك الرحلات، ومن ثم فقد عاين الصحابة أصحاب المكوس وهم يفرضونها عليهم حال دخولهم الشام، فإذا ضرب لهم النبي المثل بصاحب المكس فقد ضرب لهم بشيء يعرفونه، ومن ثم فلا يجوز إنكار الحديث بسبب تلك اللفظة والتي تبين أنها من الألفاظ المعروفة عند العرب في الجاهلية.

من كل ما سبق يتضح تهاولي الشبهات المتعلقة بهذا الحديث كسابقتها.

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

مصطلح ساد في الشام قبل الإسلام وبعد الفتوحات الإسلامية؛ حيث اقتضت الظروف السياسية والاقتصادية وجود موظفي الجمارك. وهو ما لم تعرفه الجزيرة العربية مطلقاً قبل الإسلام أو في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ولم تعرفه اللغة العربية حينئذ، وليس من مصطلحات القرآن، مع احتواء القرآن على ألفاظ غير عربية، أي أن هذا الحديث قد تم اختراعه في عصر الخلفاء غير الراشدين، حيث عم الظلم، وأصبح صاحب المكس ممثلاً لظلم الدولة. ويستحق أن يتطهر بالقتل، مثل بطله" فيلم " الغامدية ٩٩١١

الرد عليها:

أولاً: ما أثاروه بشأن إرجاء رجم الحامل: بأن الإسلام جاء ولم يفرق بين الرجال والنساء في الأحكام الشرعية، فإذا ما ارتكبت المرأة حداً يوجب العقوبة عوقبت مثل الرجل، إلا أن للنساء خصوصية في تأجيل العقوبة إذا كانت حاملاً، وهذا من عظمة الإسلام، الذي لا يؤاخذ الجنين بجريمة أمه، وإعدام المرأة المحكوم عليها بعد وضعها لوليدها أمر متعارف عليه في كثير من الدول، فالميثاق العربي لحقوق الإنسان الصادر بتاريخ ٢٣/٥/٢٠٠٤م قد نص في مادته السابعة في فقرتها الثانية على أنه "لا يجوز تنفيذ حكم الإعدام في امرأة حامل حتى تضع حملها أو في أم مرضع إلا بعد انقضاء عامين على تاريخ الولادة، وفي كل الأحوال تغلب مصلحة الرضيع".

كما نص على ذلك قانون الإجراءات الجنائية المصري في المادة "٤٧٦"، والمادة "٤٨٥"، والمادة ١٩٣ في الفقرة الثانية.

وفي التشريع اليمني الفقرة الأخيرة من المادة (٥٣٢) من قانون الإجراءات الجنائية اليمني.

والمادة (٤٨٤) من قانون العقوبات اليمني. وفي التشريع البحريني المادة (٣٣٤) من قانون الإجراءات الجنائية.

وفي التشريع الليبي المادة (٤٣٦) من قانون الإجراءات الجنائية.

وفي التشريع الكويتي المادة ٣٣، والمادة ٤٩. فهل رحمة الإسلام بالحامل وجنينها يعد تشويها للإسلام؟ أم أن الرجم وهو وسيلة من وسائل الإعدام هو الذي يشوهه؟ فالإسلام كله رحمة وعقوباته كلها عدل، كما أن هؤلاء الرويضة تناسوا أن أكثر من ٦٠٪ من سكان العالم يعيشون في دول تطبق هذه العقوبة؛ حيث إن الأربعة دول الأكثر سكاناً وهي جمهورية الصين الشعبية والهند والولايات المتحدة، وإندونيسيا تطبق عقوبة الإعدام.

باب الأسيرة

الإيمان بالقدر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول

الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.
وبعد:

تتعرض بيوت المسلمين لكثير من

المشاكل والاختلافات الأسرية، التي قد يؤدي

بعضها إلى الفراق والطلاق، ويحدث عند

ذلك نوع من الخصام والندادة، والقطيعة

والعداوة، ولا يرضى كل طرف بما آل إليه

أمره، ويكثر عند ذلك السب واللعن والطعن،

حتى إن الأولاد يرثون من آبائهم ذلك السلوك

الخشن ولو أنهم استسلموا لقدر الله وأمنوا

لكان خيراً لهم.



إعداد / جمال عبدالرحمن

فإن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، لا يصح إيمان العبد بغير الإيمان بالقدر، ذلك بأن الله تعالى له مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، وهو الخالق لكل شيء، العليم بكل شيء، وكتب كل شيء، ولا يحدث شيء في الكون إلا بإذنه وإرادته. فعقيدة القدر تعلم المؤمنين أن لهذا الكون نظاماً محكماً، وسنناً مطردة، ارتبطت فيه الأسباب بالمسببات، وأنه ليس في خلق الله خلل ولا مصادفات.

ثمرة الإيمان بالقدر

ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات، وتعرف سنن الله في المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها، والجري إليها في سننها، ودخول البيوت من أبوابها، قال تعالى: «وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظَهُ بِقَدَرٍ» [الفرقان: ٢]، وقال جل شأنه: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» [القمر: ٤٩]، فلكل شيء من مخلوقات الله سنن ونواميس، ومقادير منتظمة، كسننه في حمل الإنثا وعقمها، وزيادة الذرية ونقصها، قال تعالى: «اللَّهُ يَمْلِكُ مَا يَشَاءُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» [الرعد: ٨]، والإنسان جزء من الوجود ينطبق عليه النظام الذي اقتضته حكمة باري الوجود ومربي كل موجود، قال تعالى: «مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ» (٨) «مِنْ طَلَمٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» (٩) «ثُمَّ الْبَيْلَ يَتَرَهُ» (١٠) «ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ» (١١) «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» [عبس: ١٨ - ٢٢]. فالقرآن حث على التدبر في مخلوقات الله وآياته.

وإذا تأملنا في كلمة المقدار والتقدير في القرآن وجدنا أنها ترد بمعنى: جعل الشيء بمقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة، قال تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ بِقَدَرٍ» [المؤمنون: ١٨] أي أنزلناه بمقدار معين.

إذن فالإيمان بالقدر يسوق دائماً إلى السعي والعمل، «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [التغابن: ١١]، وهذا الاعتقاد تتبعه صفة الشجاعة والسخاء، والأخذ بالأسباب في جميع الأشياء، كيف لا والحق سبحانه وتعالى يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمَافِقِينَ» [الرعد: ١١]، إن هذا الاعتقاد والإيمان بالقدر يشجع المؤمن على الترقى في حياته الدنيوية والدنيوية، «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَفْسِهِ» [فصلت: ٤٦]. ففانور القدر الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه يعلمنا أن من آمن وعمل

صالحاً رفعه الله، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» [التوبة: ١٠٤]، وقال جل شأنه: «وَيَبْشِرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلُ الْغَيْثِ وَرَازِقُهُمْ» [الاحزاب: ٤٧].

الإيمان بالقدر لا يعني تعطيل الأسباب

والإيمان بالقدر لا يعني تعطيل المداكر والقوى التي أرشد الله إلى إعمالها والتفكير بها، ولا يعني الإيمان بالقدر الملل إلى الكسل وترك العمل، كما جاء في بعض كلام عمر رضي الله عنه، ولكن الإيمان بالقدر يقتضي طلب الأشياء من أسبابها، والعزيمة والتوكل على الله، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» [الملك: ١٥]، وقال سبحانه: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» [البلد: ١٠]، فمن آمن بالله ظفر بهداية الله قال تعالى: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ سَبِيلَهُ» [التغابن: ١١]، «قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ يُهْدِي مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ» [الرعد: ٢٧]، وقال: «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ ابْتِغَىٰ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [المائدة: ١٦].

الرضا والتسليم دليل الإيمان

إن الرضا المطلق والقبول المحمود دليل صحة الإيمان، فالمؤمن يعلم أن من المنع عطاء، ورب ضارة نافعة، وأن الحياة المتدفقة بالآلام والمتاعب هي الحياة التي تفتق المواهب وتصنع الرجال، وأن ما من نازلة نزلت إلا ووراءها حكمة قد تدرک أو لا تدرک، قدرها العليم الحكيم الذي قال في محكم الذكر الحكيم: «وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ٢١٦]، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما عندما فقد عينيه يقول:

إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا

فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نَوْرٌ
قَلْبِي ذَكَرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
وَفِي فَمِي صَارَ كَالسِّيفِ مَسْلُورٍ

فهو لم يتسخط وام يفشل لأنه آمن بقول الحق عز وجل: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْسٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ١٥٥]، وبحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك». أخرجه الحاكم في المستدرک حديث (٦٣٠٤) وأبو

داود وصححه الألباني. وصدق الله العظيم حيث يقول: «قُلْ لَّنْ يُصِيبُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [التوبة: ٥١].

فالإيمان بالقدر يجعل الحياة تعج بالآمل وتشرق بالأنوار وتهتف بالمعالي فيها معنى الحركة والإنجاز والأمل والتفاؤل الذي يجده الإنسان مبثوثاً في ثنايا القرآن حتى في لحظات انكسار المسلمين في غزوة أحد ووداع سبعين من أكابرهم وقادتهم ورجالهم في يوم رحيل الأبطال والشهداء ينزل قول الله جل وعلا: «وَلَا تَهْوَوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٣٩]، وفي لحظة صولة العدو وطيشه يأتي الأمل والتفاؤل وينزل قول الحق سبحانه وتعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُطغِنُوا قُورُوسَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُثَبِّتُ أَوْرَثَهُ وَلَوْ كَفَرَ الْأَكْثَرُونَ» [التوبة: ٣٢]، وحتى في لحظة يأس الرسل وإحباطهم وفتور همتهم يأتي الأمل من جديد لبيد هذا اليأس والإحباط فينجلي العمى ويأتي النصر الذي كتبه الله وقدره فيتنزل قول الحق تبارك وتعالى: «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِّنْ نَّبِيِّهِمْ وَمِنْ أَمْرِهِمْ أَمْرٌ بَاسِمٌ عَنِ الْقُوَى الْمُجْرِمِينَ» [يوسف: ١١٠]، وفي لحظة انتفاخ أهل الباطل وتطاولهم يأتي القدر الإلهي ليرد عليهم فيتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: «وَأَمَّا الزُّبَيَّةُ فَذَهَبَ جُحَاةً وَأَمَّا مَا بَنَعَ النَّاسَ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَصْرَفُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» [الرعد: ١٧]، فسبحان الله المتفضل على عباده.

قال تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣١﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [الحديد: ٢٢-٢٣].

قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ» قَالَ مُقَاتِلُ الْمِصْبِيَةِ: الْفُخْطُ وَقِلَّةُ النَّبَاتِ وَالنَّمَارِ. وَقِيلَ: الْجَوَائِحُ فِي الزَّرْعِ.

(وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) بِالْأَوْصَابِ وَالْإِسْقَامِ، قَالَه قَتَادَةُ. وَقَالَ ابْنُ حَيَّانٍ: إِقَامَةُ الْحُدُودِ. وَقِيلَ: ضَيْقُ الْمَعَاشِ، وَهَذَا مَعْنَى رِوَاةِ ابْنِ جَرِيرٍ. أَمَا قَوْلُهُ: (إِلَّا) فِي كِتَابٍ يَغْنِي فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ. (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) الضَّمِيرُ فِي (نَبْرَأَهَا) عَائِدٌ عَلَى النَّفُوسِ أَوِ الْأَرْضِ أَوِ الْمَصَائِبِ أَوِ الْجَمِيعِ.

يَقُولُونَ لَا قُدْرَ». [رواه أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥١٦٣].

وَقَدْ ظَهَرَتْ بِدْعَةُ الْقُدْرِ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ فِي أَوَاخِرِ زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَيُقَالُ: إِنْ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْقُدْرِ نَصْرَانِيٍّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ اسْلَمَ ثُمَّ تَنَصَّرَ، وَأَخَذَ عَنْهُ مَعْبِدَ الْجَهَنِّيِّ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبِدُ الْجَهَنِّيِّ»، وَحَاصِلُ قَوْلِهِمْ فِي الْقُدْرِ هُوَ إِنْكَارُ عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ بِالْحَوَادِثِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ فَعَلَ نَفْسَهُ، فَاتَّبَعُوا بِذَلِكَ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا آخَرَ، وَهُمْ ضِدُّ الْجَبَرِيَّةِ. [فتح الباري ١/١٩].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

كَيْفِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْقُدْرِ

قَالَ عِكْرَمَةُ: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا الْفَرَحَ شُكْرًا وَالْحُزْنَ صَبْرًا. وَعَنْ عِبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عِبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ الْمَوْتَ فَقَالَ: يَا ابْنَتِ أَوْصِنِي وَاجْتَنِدِي قَالَ: اجْلِسِي، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقُدْرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، قُلْتُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اجْعَلِي فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، نَخَلْتَ النَّارَ». (إحسان). [للأجري ١/ ٥١٤]

- فالمرء إذا نظر نظرة إيمانية ترد القلوب إلى حقيقة القدر المسيطرة على الوجود: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (١١) لِيَكُنَّ تَأْسِرًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَيْنَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [الحديد: ٢٢-٢٣].. كي تستقر النفس وتطمئن لما يصيبها من خير أو شر، وهي في طريقها إلى الله. فلا تطير جزعا، ولا تبطر فرحا، وهي تواجه الضراء والسراء. ولا تشرك بالله سبباً ولا ظرفاً ولا حادثاً.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمُصِيبَةَ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَنْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ وَالنَّفْسَ. (إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أَيَّ خَلَقَ ذَلِكَ وَحَفَظَ جَمِيعَهُ (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هَيْئًا.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ صَالِحٍ: لَمَّا أَخَذَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بِالْمَوْتِ) بَكَيْتُ، فَقَالَ: مَا يَبْكِيكَ؟ قُلْتُ: أَبْكِي لَمَّا أَرَى بِكَ وَلَمَّا تَذْهَبُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَلَا تَبْكُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى اللَّهِ حَاشِيَ الْحُكْمُ» [الأنعام: ١١٣] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ، فَكُتِبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. [تفسير القرطبي ١٧/ ٢٥٨]

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمُصِيبَةِ الْحَوَادِثُ كُلُّهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِلَّا فِي كِتَابٍ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، أَيَّ مَكْتُوبَةٍ فِيهِ، «مَنْ قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَهَا»: أَيَّ خَلَقَهَا. بَرَأَ: خَلَقَ، وَالضَّمِيرُ فِي تَبْرَأَهَا الظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعُودُ عَلَى الْمُصِيبَةِ، لِأَنَّهَا هِيَ الْمَحْدُثُ عَنْهَا، وَذَكَرَ الْأَرْضَ وَالنَّفْسَ هُوَ عَلَى سَبِيلِ مَحَلِّ الْمُصِيبَةِ. وَقِيلَ: يَعُودُ عَلَى الْأَرْضِ. وَقِيلَ: عَلَى النَّفْسِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَفَتَادَةُ وَجَمَاعَةٌ. وَذَكَرَ الْمُهْدَوِيُّ جَوَانَ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرَ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَهِيَ كُلُّهَا مَعَارِفُ صَحَاحٍ، لِأَنَّ الْكِتَابَ السَّابِقَ أَرْزَلِي قَبْلَ هَذِهِ كُلِّهَا. أَنْتَهَى. «إِنْ ذَلِكَ»: أَيَّ يَخْصُلُ كُلُّ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابٍ وَتَقْدِيرُهُ: «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»: أَيَّ سَهْلٌ، وَإِنْ كَانَ عَسِيرًا عَلَى الْعِبَادِ.

الحكمة في معرفتنا أن كل شيء مكتوب

بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى الْحُكْمَةُ فِي إِعْلَامِنَا بِذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مِنْ تَقْدِيرِ ذَلِكَ، وَسَبَقَ قَضَائُهُ بِهِ فَقَالَ: لِكَيْلَا تَأْسَوْا: أَيَّ تَحْزَنُوا، عَلَى مَا فَاتَكُمْ، لِأَنَّ الْعَبْدَ إِنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ سَلَمَ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِهِ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، فَلِذَلِكَ لَا يَحْزَنُ عَلَى فَاتَةٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِصَدَدٍ أَنْ يَفُوتَهُ، فَهُوَ عَلَيْهِ أَمْرُ حَوَادِثِ الدُّنْيَا بِذَلِكَ، إِذْ قَدْ وَطِنَ نَفْسَهُ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ. وَيُظْهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ»: أَنَّ يُلْحِقَ الْحُزْنَ الشَّدِيدَ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ الْخَيْرِ، فَيَحْدُثُ عَنْهُ التَّسَخُّطُ وَعَدَمُ الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ. [البحر المحيط في التفسير ١٠/ ١١١]

- وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى الْقُدْرَةِ نِفَاةِ الْعِلْمِ السَّابِقِ - قَبَحَهُمُ اللَّهُ - «وَهُمْ نَفَاةِ الْقُدْرِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «كُلُّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسٌ أُمَّتِي الَّذِينَ

فهذا قارون الباغي الملعون يقص الله تعالى علينا قصته:

قال المولى جل وعلا: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَبْعِثَهُ لَسَيِّئًا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ كُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾» قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَعًا وَلَا هِشْلًا عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمَجْمُوعُ ﴿٧٨﴾ [القصص: ٧٨-٧٦].

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ جَوَابِ قَارُونَ لِقَوْمِهِ حِينَ نَصَحُوهُ، وَأَرْشَدُوهُ إِلَى الْخَيْرِ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَي لَا أَفْتَقِرُ إِلَى مَا تَقُولُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَغْطَانِي هَذَا الْمَالُ لِعِلْمِهِ بَأَنِّي أَسْتَحِقُّهُ وَلِحَبِثَةِ لِي، فَتَقْدِيرُهُ إِنَّمَا أَغْطَيْتُهُ لِعِلْمِ اللَّهِ فِي أَنِّي أَهْلُ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَإِذَا مَنَّ الْأَلَسْنَ ضُرًّا مَعَآ تَمَّ إِذَا حَوْلَتْهُ يَمَّةٌ مَنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ» [الزمر: ٤٩] أَي عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ بِي، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَمَّا أَتَيْنَاهُ نَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي» [فصلت: ٥٠] أَي هَذَا أَسْتَحِقُّهُ. [تفسير ابن كثير ط العلمية ٦/ ٢٢٨]

الفرح الحقيقي:

قال الخلاق العليم جل شأنه: «يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَ لَكُمْ فِي السُّدُورِ وَهْدٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٨، ٥٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ» قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: فَضَّلَ اللَّهُ: الْإِيمَانُ، وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: فَضَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَرَحْمَتَهُ أَنْ جَعَلْنَا مِنْ أَهْلِهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَمَرَ: فَضَّلَ اللَّهُ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: تَرْبِيَّتُهُ فِي الْقَلْبِ.

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: فَضَّلَ اللَّهُ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: السُّنَنُ.

وقيل: فَضَّلَ اللَّهُ: الْإِيمَانُ، وَرَحْمَتُهُ: الْجَنَّةُ. [تفسير البغوي - طيبة ٤/ ١٣٨]

نسال الله الإيمان والسلامة والعافية والحمد لله رب العالمين.

فكله بقدر مقسوم لأجل معلوم. ومرد الأمر كله في النهاية إلى الله.

نموذج من الأسى على ما فات

لما حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعداء الله في غزوة أُحُد؛ أمر بعض أصحابه أن يرتقوا جبل الرماة، ويمكثوا عليه فلا ينزلوا إذا انتصر المسلمون أو انهزموا، لكن بعضهم اجتهد لما رأى الحرب قد انتهت بفوز المسلمين وهزيمة المشركين ووثوب القوم على الغنائم يجمعونها؛ فنفسي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بعدم مغادرة الجبل، فلما نزلوا انقض نفر من المشركين واحتل الموقع الأعلى من الجبل فتمكنوا من رمي المسلمين وإصابتهم، فانقلبت المعركة من نصر للمسلمين إلى هزيمة، عندها انتبه المسلمون وفروا هاربين، وقال الله تعالى لهم: «أَوَلَمَّْا أَصَابَكُم مَّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّا هَذَا» [آل عمران: ١٦٥]؛ أي كيف حدث هذا؟ قال الله تعالى: «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» [آل عمران: ١٦٥].

وقال الله تعالى أيضًا لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يومها: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَنْكُمْ بِمِثْرٍ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [آل عمران: ١٥٣].

- «تُصْعِدُونَ» الإصعاد يكون في مستوى من الأرض، والصعود في ارتفاع، وروي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنهم صعدوا إلى الجبل فرارًا. «يَدْعُوكُمْ» يقول: يا عباد الله ارجعوا. «عَمَّا بَغَمٍ» على غم، أو مع غم، الغم الأول: القتل والجرح، والثاني: الإرجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو غم يوم أحد بغم يوم بدر. «مَا فَاتَكُمْ» من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة. [تفسير العز بن عبد السلام ١/ ٢٨٨].

«لِكَيْلًا تَحْزَنُوا» عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الْفَتْحِ وَالْغَنِيمَةِ «وَلَا مَا أَصَابَكُمْ» مِنَ الْقَتْلِ وَالْهَزِيمَةِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وكل شيء بقدره وتدبير وأمره.

نموذج من الفرح المذموم بما يؤتاه الإنسان

ليس من إنسان إلا ويفرح ويحزن، لكن ينبغي أن يكون فرحه شكرًا، وحزنه صبرًا.

شبهات حول الصحابة

موقف أهل السنة من الـ

وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا». ومقصوده -رحمه الله- أنهم كانوا أعلم بما وقعوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا فيه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأياً؛ ذلك لأنهم غير متهمين في دينهم. [الجامع لأحكام القرآن ٣٣٢/١٦].

٣- سئل جعفر الصادق رحمه الله عما وقع بين الصحابة، فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: «قَالَ عَلْمُهُا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْصُلُ رَبِّي وَلَا يَسِي» [طه: ٥٢].

٤- سئل الإمام أحمد - رحمه الله -: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - فأعرض عن السائل، ف قيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم، فأقبل عليه، وقال: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْشَأُونَ عَمَّا كَانُوا يَمْكُونُ» [البقرة: ١٣٤]. (مناقب أحمد: ص ١٦٤).

٥- قال الباقلاني: ويجب أن يُعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المشاجرة نكف عنهم، ونترحم على الجميع، ونثني عليهم، ونسال الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن علياً أصاب فيما فعل وله أجران، وأن ما صدر منهم كان باجتهاد فلمهم الأجر، فلا يفسقون ولا يبدعون، قال الله سبحانه: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» [الفتح: ١٨]، وإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده، فما ظنك باجتهاد من

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن موقف أهل السنة من الحروب التي دارت بين الصحابة الأبرار هو الكف والإمساك عما شجر بينهم، إلا فيما يليق بمكانتهم ومنزلتهم؛ وذلك لما يفضي إليه ذلك الخوض من العداوة والبغضاء التي قد تتولد لطرف على حساب طرف آخر، في حين أن الواجب على كل مسلم تجاه الصحابة أن يترضى ويترحم عليهم جميعاً، ويعرف لهم سبقهم وفضائلهم، وينشر مناقبهم ويذب عن عرضهم، فضلاً عن حبهم وسلامة القلب من بغضهم والحقد عليهم؛ ذلك لأن ما حدث منهم نتج عن تأويل واجتهاد، والجميع مثابون عليه، ويدورون فيه بين الأجر والاجرين وأن القاتل والمقتول منهم في الجنة، وإليك أخي طائفة من أقوال أهل العلم التي تبين ذلك المعتقد:

١- سئل عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عن القتال الذي وقع بين الصحابة، فقال: «دماء طهر الله يدي منها، أفلا أظهر منها لساني، مثل أصحاب رسول الله مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها». [الإنصاف للباقلاني ص ٦٩].

وقد علق البيهقي - رحمه الله - على قول عمر بن عبد العزيز بقوله: هذا حسن جميل؛ لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب. [مناقب الشافعي ص ١٣٦].

٢- سئل الحسن البصري - رحمه الله - عن قتال الصحابة؛ فقال: «قتال شاهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغنينا، وعلموا

حروب التي وقعت بين الصحابة

أسامة سليمان

بقلم /

الْأُخْرَى فَمَقِيلُوا الَّتِي تَبَعِي حَقِّي نَفْسِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»
[الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية أمر من الله سبحانه بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم من قتال لا يُخرجهم عن وصف الإيمان؛ حيث سماهم رب العالمين مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اقتتلوا في الجمل وغيرها أول من يدخلون في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان اجتهاداً. [العواصم من القواصم ص ١٦٩].

وفي حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، تقاتلهم أولى الطائفتين بالحق». [رواه مسلم].

والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الطائفتين بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين - أهل العراق وأهل الشام - لا كما يزعم الرافضة - عليهم من الله ما يستحقون - من كفر أهل الشام. [د. علي الصلابي، خلافة علي ص ٥١٢].

رضي الله عنهم ورضوا عنه!!

ومما يدل على صحة هذا القول قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [رواه البخاري]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين، وحكم لها بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله جل شأنه: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَتَا عَلَى شُرُرٍ مُتَقَبِّلَيْنِ» [الحجر: ٤٧]. (الإنصاف: ٦٩/٦٧).

٦- قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: أما ما شجر بينهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم فمنه ما وقع عن قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد صاحبه معذور، وإن أخطأ فهو مأجور أيضاً. [الباعث الحديث ص ١٨٢].

٧- قال ابن حجر رحمه الله: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم، ولو عرف المحق منهم فإنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد؛ فالصيب له أجران، والمخطئ له أجر. [فتح الباري: ٣٤/١٣].

٨- قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: إن ما ورد من آثار مروية في مساوئهم منها ما زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح أنهم معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. [الإنصاف: ٦٧].

ذلك فضلاً عن قول رب العالمين: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

الخلاصة: أن أهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان، والترحم عليهم وحفظ فضائلهم، والاعتراف لهم بالسبق، ونشر محاسنهم.

ومن الأمور المهمة في ذلك الصدد أن نحذر من بعض الكتب التي شوّهت تاريخ الصحابة:

١- «الإمامة والسياسة»، لابن قتيبة: وهذا الكتاب من أكثر الكتب تشويهاً لتاريخ الصحابة وصدر الإسلام، وقد أثبت كثير من أهل العلم أن الكتاب منسوب إلى ابن قتيبة ظلاماً وزوراً، وساقوا الأدلة على ذلك منها:

- أن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكروا أحداً منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يحمل هذا الاسم.

- أن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- أن منهج الكتاب يختلف عن منهج ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا.

- أن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة في كتبه ليس لهم ذكر في هذا الكتاب فضلاً عن أن الكتاب فيه روايات عن علماء مصر وابن قتيبة لم يزر مصر.

ومؤلف «الإمامة والسياسة» قدح في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحاً عظيماً، فسور ابن عمر جباناً، وسعد بن أبي وقاص حسوداً، وعائشة هي التي أمرت بقتل عثمان!! وهذا ديدن الرافضة ومنهجهم؛ لذا نحذر من هذا الكتاب؛ لأنه من المؤكد لرافضي محترق.

٢- «نهج البلاغة»: وهو من الكتب التي تشوّه تاريخ الصحابة أيضاً، وهذا الكتاب مطعون في سنده ومنه، فقد جُمع بعد أمير

المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وهذا الكتاب خلا من السند، قال شيخ الإسلام: «وأهل العلم يعلمون أن أكثر هذا الكتاب خطب مفتراة على عليٍّ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم وليس لها سند معروف». [«منهاج السنة» ٢٤/٤].

وقد اشتمل هذا الكتاب على أقوال تناولت الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق بهم، وقد اتهم العلامة ابن حجر الشريف المرتضى بوضعه، وقال: «من طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليٍّ وأكثره باطل»، وقال الذهبي: «من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين رضي الله عنه، ففيه السب الصريح، والحط من السيدين أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما».

٣- كتاب «الأغاني» للأصفهاني: وهو كتاب أدب وسمر وغناء، ليس كتاب علم وتاريخ وفقه، والكتاب فيه من الكذب الواضح والطعن بالمعائب، وقد قام وليد الأعظمي بفضح الكتاب في كتابه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني».

قال الخطيب البغدادي: «كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف ثم تكون كل روايته منه». [«تاريخ بغداد» ٣٩٨/١١].

وقال ابن الجوزي: «ومثل الأصفهاني لا يوثق بروايته، يصحح في كتبه ما يوجب عليه الفسق، ويهوّن شرب الخمر، ومن تأمل الكتاب وجد كل قبيح ومنكر». [«المنظم» ٤١/٧].

فخذ حذرك من تلك المصنفات؛ لأنها كان لها أثر على بعض الكتاب المعاصرين الذين نقلوا منها كحاطب ليل دون تمييز بين الصحيح والضعيف، كطه حسين، والعقاد، وعبد الوهاب النجار، وحسن إبراهيم

حسن، وغيرهم. نسأل الله تعالى من فضله، والله من وراء القصد.

تخفيض الداعية من القصص الرائعة



قصة منكرة على سعد بن معاذ رضي الله عنه في تقصيره في الطهور من بوله

الرجوع (١٤٣٢)

علي حشيش

إعداد

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت، وإن تعجب فعجب أن الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس، واهتز العرش لموته ينتهم بأنه لا يحسن الطهور من بوله، وأنه كان مقصراً في الطهور!!!

الم يدر من ينشر هذه القصة المنكرة أن القصة طعن في السابقين الأولين من أنصار خاتم النبيين؟

الم يعلم أن الطهارة مرتبطة بالإيمان! فقد ثبت في «صحيح مسلم» ح (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان». الحديث.

بل والأعجب أن الأزهر الشريف (حفظة الله من هذه المنكرات) جعل هذه القصة المنكرة من مقررات الشهادة الثانوية الأزهرية على أنها حقيقة ثابتة؛ حيث تدرّس عليهم في كتاب «المطالعة الأزهرية» للصف الثالث الثانوي أدبي ص (٥٧) بغير تخريج ولا تحقيق.

وهذا الصنيع لا يليق بمكانة الأزهر الشريف - قطاع المعاهد الأزهرية.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة؛ حتى يقف الجميع على حقيقة هذه القصة التي تطعن في الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

أولاً: متن القصة

جاء في كتاب «المطالعة الأزهرية» (ص ٥٧) للصف الثالث الثانوي أدبي لعام ١٤٣٢-١٤٣٣هـ - ٢٠١١-٢٠١٢م) ذكر هذه القصة المنكرة:

«لما دُفن سعد بن معاذ رضي الله عنه وشيعته النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة والملائكة، فصبح صلى الله عليه وسلم وصبح الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، ولما سُبِّحت؟ قال: «لقد تضايقت على هذا العبد قبره حتى فرّجه الله عنه».

وسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال: «كان يقصّر في الطهور من البول».

اهـ.

قلت: هكذا جاءت القصة بالكتاب، وهي

قلت: وهذا من أهم أبحاث علم الحديث التطبيقي عندما يتفق الراويان في الاسم ويشتركان في بعض الشيوخ ويكون أحدهما ضعيفا والآخر ثقة، فيصحح ما هو ضعيف أو بالعكس، ولذلك قال الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٥٤): «وَلَقَّ بِسَبَبِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْأَكْبَارِ وَلَمْ يَزَلْ الْإِشْتِرَاكُ مِنْ مِظَانِ الْغُلْطِ». اهـ.

١- قال الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦٣/٢): «أحمد بن عبد الجبار العطاردي الكوفي، روى عن يونس بن بكير، كتبت عنه وأمست عن التحديث عنه؛ لما تكلم الناس فيه». اهـ.

٢- قال الإمام ابن عدي في «الكامل في ضعيف الرجال» (١٩١/١) (٣٠/٣٠): «أحمد بن عبد الجبار، أبو عمر العطاردي الكوفي، رايت أهل العراق مجمعين على ضعفه، وكان أحمد بن محمد بن سعيد لا يحدث عنه لضعفه، وذكر أن عنده قمطرًا، على أنه لا يتورع أن يحدث عن كل أحد». اهـ.

٣- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٤٣/١١٢/٤): «أحمد بن عبد الجبار العطاردي ضعفه غير واحد، وقال مُطِين: كان يكذب». اهـ.

العلة الثانية: «يونس بن بكير»

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٠٠/٤٧٧/٤):

١- يونس بن بكير وواصل الشيباني الكوفي الحمال روى عن ابن إسحاق وعنه أحمد العطاردي، وعدة.

٢- وقال أبو داود: ليس بحجة عندي؛ كان يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث.

٣- وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ضعيف.

٤- وقال الجوزجاني: ينبغي أن يتثبت في أمره.

٥- وقال العجلي: كان يونس على المظالم لجعفر بن برمك ضعيف الحديث.

٦- وقال ابن المديني: قد كتبت عنه ولست أحدث عنه. اهـ.

قلت: ولقد أقر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٨٣/١١) هذه الأقوال التي نقلها الإمام الذهبي عن علماء الجرح والتعديل.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٨٤/٢): «يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر الحمال الكوفي يخطئ من التاسعة». اهـ.

قلت: وحتى لا يتقول علينا منقول فيقول: يونس بن بكير روى له مسلم في صحيحه.

والرد عليه: أن الإمام مسلم لم يرو له احتجاجاً، ولكن روى له متابعة؛ ولذلك يجب التمييز بين من روى له مسلم احتجاجاً وبين من روى له متابعة، ولذلك قال الإمام الذهبي في الميزان (٩٩٠٠/٤٧٧/٤): «يونس بن بكير [م، تبعاً، د، ت، ق]. اهـ.

قلت: معنى هذه الرموز أن يونس بن بكير روى له

من المواضيع المقررة على طلبة الثانوية الأزهرية أدبي، دون تخريج أو تحقيق!!

قصة الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه في الطهور من البول أخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» ص (٣٠) قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك، فقال: «كان يُقصر في بعض الطهور من البول». اهـ.

ثالثاً: التحقيق

العلة الأولى: أحمد:

١- لقد ذكر الاسم مجرداً من اسم الأب والجد كذلك والنسب والكنية، مما يحتم التثبت خاصة وأن عدد الرواة في الكتب الستة ممن اسمه أحمد بلغ (١٥١) رايًا كما في «تقريب التهذيب» (٢٩/١).

٢- ولكي نحدد من اسمه أحمد في سند هذا الخبر، نبحت فيمن اسمه أحمد وشيخه الذي روى عنه اسمه يونس حتى نقيد هذا الإطلاق.

٣- ولكن يونس في سند خبر القصة ذكر مجرداً من اسم الأب والجد، كذلك النسب والكنية وبالحديث في يونس الذي روى عن محمد بن إسحاق بن يسار كما في السند تبين أنه يونس بن بكير الشيباني كذا في «تهذيب الكمال» (٥٠٤٤/٧٠/١٦).

٤- والبحث فيمن روى عن يونس بن بكير الشيباني ممن اسمه أحمد تبين أنهما اثنان:

الأول: أحمد بن عبد الجبار العطاردي.

والثاني: أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، كذا في «تهذيب الكمال» (٧٧٦٥/٥٢٧/٢٠).

طريقة التفريق

٥- ولما كان الأول: ضعيفاً، والآخر: صدوقاً، كان لابد من التحديد خاصة وأنهما مشتركان في الشيخ ولكي يفرق بينهما نبحت فيمن روى عنه أبو العباس؛ حيث إن سند خبر القصة: «حدثنا أبو العباس، قال: حدثنا أحمد قال حدثنا يونس» فقيد أحمد بمن روى عنه أبو العباس.

٦- وبالبحت نجد أن الحافظ المزني في «تهذيب الكمال» (٦٢/١٨٤/١) قال: «أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زارة التميمي العطاردي أبو عمر الكوفي».

روى عن: يونس بن بكير الشيباني وآخرين. وروى عنه: أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري وآخرون. اهـ. وبهذا يتبين أن علة الحديث: «أحمد بن عبد الجبار العطاردي».

مسلم متابعة لا احتجاجاً، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

بيان حقيقة ما قاله الإمام الذهبي

١- قال الإمام المحدث ابن منجويه في «رجال صحيح مسلم» (١٨٩٧/٣٦٩/٢): «يونس بن بكير الشيباني، الكوفي، روى عن: هشام بن عروة في الإيمان، وروى عنه محمد بن عبد الله».

قلت: بهذا يتبين أن الإمام مسلم روى له حديثاً واحداً في صحيحه عن هشام بن عروة.

ولكي تتبين الطريقة التي روى بها الإمام مسلم عن يونس بن بكير في صحيحه نقوم بتخريج الحديث من صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان، فنجد أن الحديث في كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (ح ٢٠٥) قال: «حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع ويونس بن بكير، قالوا: حدثنا هشام

بن عروة عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم». اهـ.

قلت: فلينظر الباحث إلى دقيق منهج الإمام مسلم في علو الإسناد؛ حيث قدم وكيع بن الجراح ثم تبعاً له يونس بن بكير كما في الإسناد «حدثنا ابن نمير، حدثنا وكيع ويونس بن بكير، قالوا: حدثنا هشام بن عروة» لأنه قدم وكيع بن الجراح؛ حيث روى له احتجاجاً ثم يونس بن بكير حيث روى له متابعة، والاثنان عن هشام بن عروة حيث نجد الفعل متنى (قالوا: حدثنا هشام) ليدل على هذه المتابعة.

ورواية مسلم له احتجاجاً سببها يُعرف من قول الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢٨٤/٣٠٦/١): «وكيع بن الجراح بن مليح الإمام الحافظ الثبت محدث العراق» أبو سفراء الراوسي أحد الأئمة الأعلام. اهـ.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٣١/٢): «وكيع بن الجراح بن مليح الراوسي أبو سفيان الكوفي ثقة حافظ عابد من كبار التاسعة». اهـ.

بينما قال الحافظ «يونس بن بكير الكوفي يخطئ من التاسعة».

قلت: وهذا من دقيق فقه منهج الإمام مسلم في صحيحه، ومن لا يعرف هذا المنهج يصحح أي سند به رجل من رجال صحيح مسلم، بل قد يقول على شرط مسلم، وهذا الصنيع وقع فيه الكثير لعدم درايته بمنهج مسلم.

العلة الثالثة

محمد بن إسحاق بن يسار، روى عنه يونس بن بكير الشيباني كذا في «تهذيب الكمال» (٥٦٤٤/٧٠/١٦).

أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧١٩٧/٤٦٨/٣) ونقل أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

- ١- قال أبو داود: قدي معزلي.
- ٢- وقال سليمان التيمي: كذاب.
- ٣- وقال أحمد: كثير التدليس جداً.
- ٤- وقال يحيى القطان: أشهد أن محمداً بن إسحاق كذاب.

٥- وروى عن حميد بن حبيب أنه رأى ابن إسحاق مجلواً في القدر، جلده إبراهيم بن هشام الأمير.

٦- وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان يحيى بن سعيد الأنصاري، ومالك يجرحان ابن إسحاق».

٧- وقال يحيى بن آدم: حدثنا ابن إدريس قال: كنت عند مالك فقيل له: إن ابن إسحاق يقول: «اعرضوا علي علم مالك، فأني ببطاره، فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجة».

قلت: وهذه بعض أقوال من وهّاه وجرحه من أئمة الجرح والتعديل وهناك البعض ممن وثقه.

ولكن القاعدة عند أهل الصنعة أن «الجرح مقدم على التعديل» خاصة وأن التجريح ظاهر في الإسناد وفي الاعتقاد، ولذلك أورد الإمام الذهبي من مناكيره في «الميزان» (٤٧٣/٣) عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن ابن عمر، أنه بعث إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فكتب إليه نعم رآه على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة: ملك في صورة رجل، وملك في صورة أسد، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر في روضة خضراء دونه فراش من ذهب». اهـ.

قلت: وسند هذا الخبر المنكر متفق في علتين مع سند قصة سعد بن معاذ في تقصيره في الطهور من بوله: يونس بن بكير عن ابن إسحاق لذلك قال الإمام الدارقطني: «لا يحتج به». اهـ.

لذلك ما احتج به الإمام البخاري في صحيحه، وكذلك لم يرو له الإمام مسلم احتجاجاً، ولكن روى له خمسة أحاديث استشهداً؛ لأن ما انفرد به ففيه نكارة. اهـ. كذا في «الميزان» (٤٧٥/٣).

قلت: من هذه العلل الثلاثة التي أوردناها أنفاً يتبين شدة ضعف هذه الرواية، فكل علة تزيد الأخرى ضعفاً على ضعف.

العلة الرابعة

وهناك علة رابعة تتبين من السند الذي جاءت به القصة ففيه: «حدثنا أحمد، قال: حدثنا يونس، عن ابن إسحاق، قال: حدثنا أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد: ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا؟ فقالوا: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم سئل عن ذلك فقال...» القصة.

١- فالعلة: جهالة الإبهام يتبين من السند «سأل بعض أهل سعد»، وهذا إبهام في السند حيث إن الراوي أمية لم يصرح باسم من روى عنه من أهل سعد؛ حيث يسألهم عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- وهذا النوع من المجهول لحديثه اسم خاص هو «المبهم»، قال البيهقي في منظومته: «ومُبهم ما فيه راو لم يُسم».

٣- وحكم روايته: عدم القبول، وسبب رد روايته جهالة عينه؛ لأن من أبهم اسمه جهلت عينه وجُهلّت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته.

العلة الخامسة: جهالة أخرى مركبة على الجهالة الأولى

يتبين ذلك من المبهمين من أهل سعد قالوا: «ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل...» بصيغة المبني للمجهول، وهذا أيضًا مبهم.

وهذا يدل على جهالة الذين ذكروا للمبهمين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال».

وبهذا يصبح سند القصة تالفاً مسلسلًا بالعلل من الضعفاء الذين لا يُحتج بهم والكذابين والمجهولين المبهمين.

ولذلك أورد هذه القصة الحافظ ابن كثير عن البيهقي وضعفها؛ حيث قال في «البداية والنهاية» (٤٨٢/٣): «وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته قصة سعد رضي الله عنه في القبر أثرًا غريبًا...».

قلت: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فإذا أورد الحافظ ابن كثير خبرًا عزاه إلى الإمام الذي أخرجه فإذا كان الخبر شديد الضعف قال: «ذكر فلان أثرًا غريبًا». وهذا منهج الحافظ ابن كثير بالنسبة لهذا المصطلح، وهذا بالاستقراء عندما يذكر أثرًا غريبًا في «البداية والنهاية» بل وفي «تفسيره» وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- هذه القصة الواهية التي أوردتها في «البداية والنهاية» وعزاه إلى الإمام البيهقي، كما بينا آنفاً.

٢- وقصة أخرى واهية - إن شاء الله - سنقوم بتحقيقها وهي قصة جبل ق التي أوردتها الحافظ ابن كثير في تفسيره في صدر سورة ق، وعزاه إلى الإمام ابن أبي حاتم وقال: «إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد هاهنا أثرًا غريبًا». اهـ.

قلت: وعند أهل الصنعة أن هذا المصطلح الذي يطلقه الحافظ ابن كثير ينطبق تمام الانطباق على القسم الثاني من أقسام الغريب من حيث الصحة يتبين ذلك

من قول الإمام ابن الصلاح في «علوم الحديث» النوع (٣١) قال: «إن الغريب ينقسم إلى: صحيح كالأفراد المخرجة في «الصحيح» غير صحيح، وذلك هو الغالب على الغرائب، وروينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال غير مرة: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير وعامتات عن الضعفاء». اهـ.

وهذا ينطبق على هذه القصة فإنها من الغرائب كما قال الحافظ ابن كثير وهي منكرة ومسلسلة بالعلل من ضعفاء وكذابين ومجاهيل، وبهذا التحقيق يسلم الصحابي الجليل سعد بن معاذ من هذه الفرية، فرية أنه كان يقصر في الظهور من البول، والتي جعلت سببًا في تعذيبه في قبره حتى سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وسبى الناس معه، ثم كبر وكبر القوم معه، حتى فرج الله عنه.

إن الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه فوق هذه القصص الواهية التي تدرس مقررة على الشهادة الثانوية الأزهرية في معاهد الأزهر الشريف، حفظه الله.

٣- لقد رضي الله عنه سبحانه عن الصحابي الجليل سعد بن معاذ الذي أكرمه الله تعالى يوم موته كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٨٠٣) والإمام مسلم في «صحيحه» (٢٤٦٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». اهـ.

٤- ومن البشريات التي هي من النبوة ومن مناقب الصحابي الجليل سعد بن معاذ ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٢٨٠٢) والإمام مسلم في «صحيحه» (٢٤٦٨) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير، فجعل أصحابه يلمسونها ويعجبون من لينها، فقال: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين». اهـ.

٥- وأخرج البخاري ح (٣٢٤٨)، ومسلم ح (٢٤٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها، فقال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». اهـ.

هذا هو الصحابي الجليل سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَدْيِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» [الحشر: ١٠].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحمد لله القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير، والصلاة والسلام على رسوله
الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله
وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه قصة أصحاب الفيل التي وقعت عام
مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم،
فصارت تاريخاً للعرب وبداية لتاريخ
جديد وعهد جديد عظمت فيه مكانة البيت
الحرام ومكة المكرمة، وزادت مكانة قريش
بين الناس سموً وارتفاعاً.

قَصُّها القرآن على النبي صلى الله عليه
وسلم مذكراً بنعمة الله عليه وعلى قومه،
فصارت القصة حديث المؤرخين وأهل
السُّنَنِ؛ لأنها آية كونية عَظَمَ المؤرخون من
دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،
كما أنها أيضاً حديث المفسرين باعتبارها
من الآيات القرآنية، فهي معجزة كونية.

وقبل حديثنا عنها في سياقها كما جاءت
في كتاب الله نشير إلى بعض ما ذكره
المؤرخون عنها لأهميته، وهذا القسم الأول
كما يلي:

أولاً: هي من آيات الله الباهرة ومن شواهد
النبوة الظاهرة.

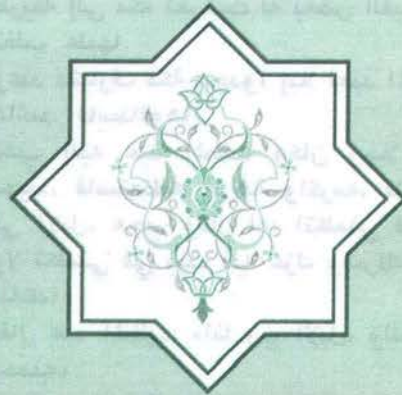
قال الماوردي - رحمه الله - في أعلام
النبوة: «آيات الملك باهرة، وشواهد
النبوة ظاهرة، تشهد بمباديها بالعواقب
فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل
بحق، وبحسب قوتها وانتشارها يكون
بشائرها وإنذارها، ولما دنا حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعاطرت آيات
نبوته، وظهرت علامات بركته، فكان من
أعظمها شأننا وأشهرها عياناً وبياناً
أصحاب الفيل، وقد أنفذهم النجاشي
بقيادة أبرهة الأشرم إلى مكة لقتل رجالها
وسبي ذراريها وهدم الكعبة، وآية الرسول
في قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في
بطن أمه بمكة، لأنه ولد بعد خمسين يوماً
من الفيل فكانت آيته في ذلك من وجهين:
أحدهما: أنهم لو ظفروا بقريش لسبوا
واسترقوا، فأهلكهم الله صوناً لرسوله أن
يجري عليه السبْيُ حملاً ووليداً.

القصة في كتاب الله

أصحاب الفيل « ١ »

أصحاب الفيل بين المفسرين والمؤرخين

إعداد/ عبدالرازق السيد عبيد



والريح.... وما علمنا وما لم نعلم فله سبحانه وتعالى جنود السماوات والأرض، فسبحان من سبح الطير بحمده، وسبح بحمده الأرض والسماوات والجبال والشجر، قال تعالى: «سُبْحَ لَ السَّمَوَاتِ السَّعِ وَالْأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» [الإسراء: ٤٤]. وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» [النور: ٤١].

وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» [الحج: ١٨]، وهكذا الكون كله خاضع لجلال الله بآرضه وسمائه وبحاره...

رابعاً: القصة مختصرة من كتب السيرة:

نستطيع بعون الله أن نوجز القصة فيما يلي: لما غلب أبرهة الحبشي على بلاد اليمن، ورأى الناس يقصدون مكة زرافات ووحدانا ورجالا وركبانا، قال: إلام يقصدون؟ قالوا له: إلى الكعبة بمكة يحجون، قال: وما هو؟ قالوا: بيت من الحجارة وكسوته ثياب يمنية، قال: لأبني خيراً منه.

وبنى أبرهة كنيسة ضخمة تفنن في بنائها وتزيينها وسمّاها «القليس»؛ قاصداً بذلك صرف العرب عن الكعبة وعن مكة. ولكن رجلاً من بني كنانة عمد إليها فتغوط فيها؛ سخرية من أبرهة وفعله؛ فلما علم أبرهة استشاط غضباً، وعزم على هدم الكعبة، وسار بجيش لا قبل لأهل مكة والعرب به، وفي طريقه إلى مكة تعرضت له بعض القبائل لكنه تغلب عليها.

وعند مشارف مكة وجدوا إبلاً لعبد المطلب بن هاشم، فاستاقوها.

ذهب إليه عبد المطلب وكان رجلاً وسيماً مهيباً، فاستعظمه أبرهة وأكرمه، فلما كلمه في الإبل، عجب وقال له: أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك وشرف آبائك؟

فقال عبد المطلب: «أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه».

والثاني: لم يكن لقريش من الصلة بالله والعبادة ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم، فلم يكونوا أهل كتاب بل كانوا عابدي أوثان، لكن الله أراد حماية بيته؛ تهيةً لظهور الإسلام وتأسيساً للنبوة وتعظيماً للكعبة، ولذلك لما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيؤوا الحرم وعظموه، وزادت حرمة في النفوس ودانت لقريش بالطاعة. انتهى باختصار وتصرف يسير.

ثانياً: ذكر الإمام الماوردي أيضاً سؤالاً وأجاب عنه:

والسؤال هو: «فإن قيل: فكيف منع الله الكعبة قبل مصيرها قبله ومنسكاً، ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبله ومنسكاً».

والإجابة: «أن ما فعله الحجاج وغيره كان بعد استقرار الدين، فاستغنى عن آيات تأسيسه؛ وأصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة، ومجيء الرسالة، هذا وقد أخبر الرسول وأنذر بهدمها فصار الهدم آية على صدق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم، فلذلك اختلف حكمها في الحالتين، والله أعلم». اهـ بتصرف.

ثالثاً: نقل الإمام القاسمي في تفسيره عن القاشاني قوله: «قصة أصحاب الفيل مشهورة ووقعت قريبة من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي إحدى آيات قدرة الله، وأثر من آثار سخطه على من اجتراً على هتك حرمة، وإلهام الطيور والوحوش أقرب من إلهام الإنسان بكون نفوسهم ساذجة، وتأثير الأحجار بقدرة الله تعالى أمر ليس بمستنكر، ومن اطلع على عالم القدرة لزال عنه حجاب الغفلة».

ولعله يشير بل هو يشير إلى الطير الأبابيل التي أرسلها الله على الجند تحمل حجارة من سجيل، وكيف ألهمها الله ووجهها، وإلى الفيل الذي توقف عن التقدم نحو البيت وكيف حُبس؟ ولماذا؟

ومن وراء ذلك كله قدرة أحكم الحاكمين الذي له جنود السماوات والأرض، فالطير من جنده والوحوش من جنده والجبال والأرض والسماوات والأنهار والبحار والرمال

متكلف يجانبه الصواب، ولقد انبرى كثير من المحققين للرد على هؤلاء المرجفين ومنهم د. محمد أبو شهبة - رحمه الله - قال في كتاب السيرة النبوية الجزء الأول، قال: «ويشكك بعض المستشرقين ومن نهج نهجهم من كتاب المسلمين في هذه القصة، مع ثبوتها بالتواتر المفيد للقطع واليقين بإجماع أهل الملل والعقول، ويقولون: إن هلاك الجيش كان بسبب انتشار مرض الجدري في الجيش، واعتمدوا على خبر ذكره ابن إسحاق بعد ما ذكر القصة على ما وردت في الكتاب الكريم. قال: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: «أن أول ما رُئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام».

فليس فيما ذكره ما يدل على أن هلاكهم كان بهذا وإلا لما ذكر ابن إسحاق القصة المعتمدة في بضع صفحات، ولم لا تكون الحصبة والجدري كانتا بسبب ما أصابهم من جراح كما هو مشاهد ومعروف من انتشار بعض الأمراض والأوبئة عقب الحروب والجوائح، ولو سلمنا بهذا الرأي لقائله، فكيف يرجح رأي ضعيف يعارض ظاهر القرآن على رأي صحيح يشهد له ظاهر القرآن؟!

الحق أن هذا التشكيك ليس له ما يبرره، أما إنكار ما قصه القرآن وقد كان من المشهودات عند العرب واستعظامه على قدرة الله سبحانه وتعالى، فأثر من ضعف الإيمان واليقين، ولوثة سرت إلى بعض المستشرقين.. ومن سار سيرتهم». اهـ.

والحق نقول: يكفي أن القرآن ذكرها، وأن الرسول ذكرها في خبره الصحيح، والخبر الذي أورده ابن إسحاق وتمسك به من تمسك خبر في إسناده ضعف، فيه جهالة شيخ ابن عتبة.

وإني لا ألوم المنصرين الذين سُمُوا بالمنسشرقين، فأغراضهم معروفة إلا من رحم الله، ولكن اللوم كل اللوم يقع على من تبعهم من المسلمين: «رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» [آل عمران: ٨].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

ثم رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، ومما قال:

لاهم إن المرء يمنع
رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب
وعابديه اليوم ألك
لا يغلبن صليبه

ومجالهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وقبيلتنا
فأمر ما بدا لك

انطلق أهل مكة إلى الجبال ينظرون ما سيحدث.

كان في جيش أبرهة فيل عظيم كلما وجَّهوه إلى الطريق المؤدي إلى مكة أبى وبرك منهم في الأرض، وإذا وجَّهوه إلى غير طريق مكة أسرع وانطلق.

ومع ذلك أصر أبرهة وجيشه على التقدم نحو الكعبة لهدمها، وهنا أرسل الله عليهم جماعات من الطير تحمل حجارة معينة ترمي بها الجند، فكان الحجر يدخل من رأس الرجل ويخرج من مؤخرته فيهلكه.

ونكّل الله بأبرهة وجيشه شر تنكيل، فقتل منهم من قتل، وهرب منهم من هرب، وحفظ الله بيته، ولم يمكّنهم منه وقريش تنظر.

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين».

رواه الشيخان.

وذلك لأن أبرهة وجنده أرادوا بمكة سوءاً فاهلكهم الله، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بفتحها خيراً مكّنهم الله وأعانهم ونصرهم.

خامساً: المشككون في القصة:

مع تواتر الأخبار عن هذه القصة وذكرها في القرآن في السورة المشهورة «سورة الفيل»، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم عنها في الصحيح من حديثه، فإنك تعجب حين ترى بعض المستشرقين يشكك في صحتها، ويتبعهم في ذلك بعض من تأثر بهم ممن كتب في السيرة أو في التفسير، ويحاول حمل آيات القرآن على غير ظاهرها بتأويل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الغاية التي من أجلها أنزل الله القرآن
الكريم، وأمر الناس باتباعه والإيمان به، هي
الاهتداء بهديه، والالتزام بتعاليمه وأدابه، قال
تعالى عن هذا القرآن: «يَهْدِي بِإِذْنِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ
رَضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»
[المائدة: ١٦]. فالواجب علينا الإيمان به، والعمل
بما فيه، والعناية بتلاوته، وتفهم معانيه على
الوجه الأكمل الذي يرضي الله عز وجل.

وتحقيقاً لهذه الغاية اجتهد العلماء قديماً
وحديثاً في تدبر كتاب الله، والعمل بتفسيره،
والتفكير في مدلولاته، والوقوف على هدايته، ومن
الأمور التي وقفوا عليها «تأثير القرآن الكريم أو
بعض سورته وآياته في جلب المنافع ودفع المضار
أو رفعها، فقد يحصل للبعض بقراءة أو كتابة
سورة، أو آيات معينة خاصية يكرمها الله بها؛
نظراً لما أثبتته الله تعالى لها من الأثر، وببركة
صدق العبد، وإخلاصه ويقينه، وحسن توكله
على الله، وينتج عن تلك القراءة أو الكتابة فرج
أو شفاء، أو حفظ لشيء، أو حل عسير ونحو
ذلك.

وكل ذلك له أصل في الشرع من الكتاب
والسنة، فقد دلت أكثر من آية على أن القرآن
الكريم يُستشفى به، وتُدفع به الأمراض والآفات،
ويُستعاض به مما يخشى شره وضرره، قال الله
تعالى: «وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا
يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى:
«قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى» [فصلت: ٤٤].

وتدبر وصف الله القرآن الكريم بأنه شفاء
ولم يصفه بأنه دواء، ذاكم أن الشفاء هو ثمرة
الدواء والهدف منه، أما الدواء فقد يفيد وقد
يضر، فكان وصف القرآن الكريم بأنه شفاء تأكيد
وأي تأكيد لثمرته التداوي به. [ينظر: خصائص
القرآن، لفهد الرومي ص ١١١ بتصرف يسير].

والأدلة على ذلك،

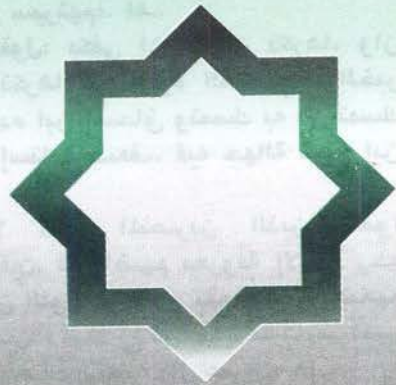
أولاً: من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ» [يونس: ٥٧]. فالقرآن هو الشفاء القام



دراسات قرآنية

القرآن شفاء



مصطفى البصراطي

إعداد /

التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية؛ لأنه يزجر عن مساوئ الأخلاق، وأقبح الأعمال، ويحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفى القلب». [تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٢].

ثانياً: من السنة النبوية:

ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على الاستشفاء بالقرآن الكريم والتداوي به، بل وترغب في ذلك وتحت عليه، فيحصل بذلك من جلب النفع، ودفع الضرر ما لا يعلمه إلا الله، وهذا بلا شك من أعظم خواص القرآن الكريم، فهو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية للمؤمنين الصادقين، ومن هذه الأحاديث:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رهطاً (الرهط ما دون العشرة من الرجال) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ (اللدغة: جامعة لكل هامة تلدغ لدغاً) سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فاتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ فسعيناً له بكل شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إنني لراق ولكن والله لقد استضعفناكم، فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً (الجعل: ما جعلته للإنسان أجراً على عمله)، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق فجعل يتفل ويقرا: «الحمد لله رب العالمين» حتى لكانما نشط من عقال فانطلق يمشي ما به شيء.... قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسّموا، قال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟ أصبتم» اقسّموا واضربوا لي معكم بسهم. [رواه البخاري].

ويتضح في هذا الحديث خاصية سورة الفاتحة، وجواز العمل بها، من خلال إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لفعل الصحابي الذي عمل بها في قوله عليه الصلاة والسلام: «أصبتم»

من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، وضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين الذي لو نزل على الجبال لصدّعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه، قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [العنكبوت: ٥١]. فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء الله، ومن لم يكفه القرآن فلا كفاه الله». [زاد المعاد: ٣٥٢/٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» أي: فحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به، والمصدقين والموقنين بما فيه. [تفسير ابن كثير].

٢- قال تعالى: «وَيُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْبِدُ لِّلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢]. قال ابن القيم: . والصحيح أن «من» هاهنا لبيان الجنس لا للتبعيض، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ». أي: يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق، وشرك وزيف، وقيل: القرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بُعداً وتكذيباً وكفرًا، والآفة من الكافر لا من القرآن [تفسير ابن كثير: ٧٠/٩].

٣- قال تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ» [فصلت: ٤٤].

قال الألوسي رحمه الله عند هذه الآية: «والأطباء معترفون بأن من الأمور والرقى ما يشفى بخاصية روحانية، ومن ينكر هذا لا يعبا به». [روح المعاني للألوسي].

قال السعدي رحمه الله عن هذه الآية: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ» [فصلت: ٤٤] أي: يهديهم لطريق الرشd والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، فتحصل به الهداية

بل وختم الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: «اقسموا واضربوا لي معكم بسهم». ويظهر الأثر المترتب على قراءة سورة الفاتحة من خلال الحديث المتقدم، وحصول المنفعة بها، ودفع المضرة أو رفعها.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكنتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني أت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فاصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود» فعدت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإنني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله، فاصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟»، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود، ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: «ما هي؟»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة»، قال: لا،

قال: «ذاك شيطان». [رواه البخاري].

٣- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة». يعني السحرة. [رواه مسلم].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». [رواه مسلم]، فهذه من خواص سورة البقرة، فأخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة (يعني السحرة).

٤- عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» [الإخلاص: ١]، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» [الفلق: ١]، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» [الناس: ١]، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. [رواه البخاري].

وفي رواية أخرى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها. [رواه البخاري].

ويظهر في هاتين الروايتين العمل بخواص سور القرآن، فكان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه يقرأ بهذه السور الكريمة، بل إذا اشتكى - أيضا - يقرأ بهن على نفسه وينفث، وفي هذا دليل على جواز العمل بذلك؛ لما يحصل به من النفع الكثير والخير العميم، فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن الكريم، والمعوذتين لم ير مثلهن، كما صح بذلك الخبر عن تلك السور، وهذا لا شك من الخواص القرآنية العظيمة في هذه السور وغيرها من سور القرآن الكريم.

فمن خلال ما تقدم تبين لنا أنه قد دلت أكثر من آية على أن القرآن الكريم يُستشفى به وتُدفع به الأمراض والآفات، ويستعاذ به مما يُخشى شره وضرره، وقرر ذلك القرآن الكريم وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وفعله أصحابه رضوان الله عليهم من بعده والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

محبة النبي

صلى الله عليه وسلم

إعداد/ سعيد عامر

أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السماء، فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». فحب القرآن، وحب السنة، وحب أعمال البر وأهل الصلاح، وحب الآخرة، من علامات اتباع المسلم للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله عز وجل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم موجباً للهداية، قال الله عز وجل: «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ قُلْ فَإِنِ ابْتَغَيْتُم مَّا جُلَّ وَعَلَيْكُمْ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ إِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: «وَأَطِيعُوا أَمْرًا لَكُمْ تَهْتَدُونَ» [الأعراف: ١٥٨].

روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فاوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة النفس فما دونها:

قال الله تعالى: «الَّذِي أَوَّلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» [الأحزاب: ٦]، روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرعوا إن شئتم: «الَّذِي أَوَّلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ».

وفي الحديث المتفق عليه: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده». وقد قرع الله من كان ماله وأهله وولده وتجارته أحب إليه من الله ورسوله، وتوعده، ثم حكم على من كان هذا حاله بالفسق، قال الله عز وجل: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِيتُوهَا كُتَابًا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [التوبة: ٢٤].

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الخلق أجمعين، وعلى اله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تحدثنا في اللقاء السابق عن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله تعالى، وعن علامات محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هذه العلامات كذلك:

اتباعه صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر:

إن من تدبر القرآن الكريم يجد أن الله تعالى جعل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم عنوان محبته جل وعلا، قال الله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [٣: ٣١]، «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» [آل عمران: ٣١، ٣٢].

يقول الحافظ ابن كثير: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله. اهـ. فمن كان لنبيه متبعاً كان لله محباً».

فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يجب للمسلم محبة الله عز وجل، وعلامة حب الله للعبد: وضع القبول له في الأرض، ففي الحديث المتفق عليه: «إذا أحب الله عبداً دعا جبريل فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في

روى البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فقال له عمر: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآنَ يَا عُمَرُ».

ونقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي قوله: «حب الإنسان نفسه طبع، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار؛ إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جُبِلَتْ عليه». وعلق ابن حجر على كلام الخطابي قائلاً: قلت: فعلى هذا فجواب عمر أولاً كان بحسب الطبع، ثم تأمل فعرف الاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه؛ لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، لذلك حصل له الجواب بقوله: «الآنَ يَا عُمَرُ» أي: الآن عرفت فنتطقت بما يجب، وأما تقرير بعض الشراح الآن صار إيمانك معتداً به؛ إذ المرء لا يعتد بإيمانه حتى يقتضي عقله ترجيح جانب الرسول، ففيه سوء أدب في العبارة، وما أكثر ما يقع مثل هذا في كلام الكبار عند عدم التأمل والتحزن لاستغراق الفكر في المعنى الأصلي. [فتح الباري: ٥٣٦/١١ ط. الريان].

أمثلة رائعة لتقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة لأسمى مراتب تقديم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم على النفس؛ روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا، حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقرب من مائة رام، فاقترضوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر، تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدق، وجاء القوم فحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق، إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبينا، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل، فاعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث معهما: هذا أول الغدر، فابى

أن يصحبهم فجرروهم وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب، وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموصى، فقال: اتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من كطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة عنب، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، ثم قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشا

يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم لياتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، فحمتة من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء. [الفتح: ٤٣٧/٧، ٤٣٨، برقم: ٤٠٨٦].

وفي بعض الروايات: فاقترب منه أبو سفيان قائلاً: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه وإني في أهلك؟

فقال خبيب: لا والله ما يسرنني أني في أهلي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه.

فقال أبو سفيان: ما رأيته في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. [الفتح: ٤٠٨٦/٤].

وفي صلح الحديبية وموقف عروة بن مسعود الثقفي كما عند البخاري وفيه:

فقال عروة: أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أوشاباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر الصديق: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه ندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها

فأنقله وتفجر الدم منه صلى الله عليه وسلم.
[السيرة النبوية لابن هشام: ٨١/٣].

والصحابه يسقطون واحداً تلو الآخر بين يديه، وقاتل أبو طلحة الأنصاري بين يديه صلى الله عليه وسلم، وكان من أمهر الرماة، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة». وقد كان متترساً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجحفة، فكان رامياً شديداً النزع، ويقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت لا تشرف إلى القوم، ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، ووقفت نسبية بنت كعب تدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وترمي بالقوس، وغيرهم كثير التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم يذودون عنه، وبعد انتهاء المعركة قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد، فلما نغوا لها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل - صغيرة هينة - المصيبة إن أصبنا بك يا رسول الله.

هكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين.
وهذه المرأة بعدما تجمع عليها مصائب، فقد الأب، والزوج، والأخ، وتعلمت أن فقدهم هين في مقابل سلامة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك خرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على فرسه، وسعد بن معاذ أخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بها». فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أما إذا رأيتك سالماً، فقد اشتويت - صارت صغيرة خفيفة - المصيبة، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بعمر بن معاذ ابنها، ثم قال: «يا أم سعد أبشري وبشري أهليهم، أن قتلهم قد تراقفوا في الجنة جميعاً، وهم اثنا عشر رجلاً، وقد شفَعُوا في أهليهم». قالت: رضيت يا رسول الله. ثم قالت: ادع يا رسول الله لن خلفوا. فقال: «اللهم اذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على من خلفوا».

وللحديث بقية إن شاء الله، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي عُدر، ألسنت أسعى في عُدرتك؟ وكان المغيرة صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء»، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها.
[فتح الباري: ٣٨٩/٥].

موقف المرأة الدينية رضي الله عنها

في معركة أحد استنسل المسلمون في مقاتلة المشركين، فكان شعارهم أمت، أمت، واستماتوا في قتال بطولي ملحمي سجل فيه أبطال الإسلام صوراً رائعة في البطولة والشجاعة، وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة، ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها، تركوا مواقعهم ظناً منهم أن المعركة انتهت، ولما رأى المشركون ذلك عادوا إلى القتال من جديد، وأحاطوا بالمسلمين من جهتين، وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وأخذوا يتساقطون شهداء في الميدان، وفقدوا اتصالهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وشاع أنه قتل، واختلط الحابل بالنابل واشتدت حرارة القتال، وصار المشركون يقتلون كل من يلقونه من المسلمين، واستطاعوا الخلوص قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم فرموه بحجر كسر أنفه الشريف ورباعتيه، وشجه في وجهه الكريم،

الحمد لله، مَنْ تمسك بهديه قُرْبِهِ وأدناه، ومن خالف أمره أبعد وأقصاه، أحمده سبحانه لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه، وأصلي وأسلم على من اجتبااه ربّه واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعد:

فعن المقداد بن الأسود قال: وأيم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن السعيد لمن جنبَ الفتن، إن السعيد لمن جنبَ الفتن، إن السعيد لمن جنبَ الفتن، وإن السعيد لمن جنبَ الفتن، وإن السعيد لمن جنبَ الفتن، وهو في صحيح الترغيب رقم (٢٧٤٣). ومعنى: «أيم الله» هذا من ألفاظ القسم، كقولك: لعمر الله، وعهد الله.

وكلمة «واها» يدل معناها على التلهف، وقد توضع للإعجاب بالشيء.

أحبتي في الله: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [سورة التوبة: ١٢٨].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه ما ترك خيراً إلا وأرشد الأمة إليه، وما ترك شراً إلا وحذر الأمة منه، وما من خير حصل في الدنيا إلا والجنة خير منه، وما من شر كان في الدنيا إلا والنار شر منه.

وتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ حيث أرشدنا صلى الله عليه وسلم حينما تكثر الفتن في الأمة، فنشهد الله الذي لا إله إلا هو على محبته صلى الله عليه وسلم محبة تفوق محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه.

معنى الفتنة:

قال الراغب: أصل الفتنة إدخال الذهب النار؛ لتظهر جودته من رداوته. وقال ابن منظور: قال الأزهري وغيره: جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أدبتها بالنار ليميز الرديء من الجيد. فأرشدنا صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت الفتن في الأمة، فيلتبس الحق بالباطل، ويختلط الهدى بالضلال، قال صلى الله عليه وسلم: «ليأتين على الناس زمان لا يدري القائل

إن السعيد لمن جنب الفتن

عبدہ الأقرع / إعداد



فِي أَي شَيْءٍ قَتَلَ وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ فِي أَي شَيْءٍ قَتَلَ». [مسلم: ٢٩٠٨].

وبين صلى الله عليه وسلم خطر الفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويُمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا». [مسلم: ١١٨].

كيف تتجنب الفتن؟

إن السعيد السعيد لمن جُنب الفتن. فإن قال قائل: وكيف نجتنبها؟

قلت: أولاً: إن أهم ما تُتقى به الفتن ويتجنب به شرها وضررها تقوى الله جل وعلا، وملازمة تقواه في السر والعلن والغيب والشهادة، فإن تقوى الله سبحانه تُنير طريق الهداية، وتبديد نورها ظلمات الجهل والغواية، ومن رُزق التقوى وفُوق للفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، قال الله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَقُوا اللَّهَ لَكُمْ قُرْآنًا وَنُقُرُّ عَلَيْكُمْ سِيَاتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [الأنفال: ٢٩]، فمن وهبه الله التقوى، فقد وهبه نوراً يمشي به على درب النجاة في سلامة المؤثرات العقدية والمنهجية، قال الله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [الحديد: ٢٨]. وقال تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَشَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

ولما وقعت الفتنة في زمن التابعين أتى بعض الناصحين إلى طلق بن حبيب - رحمه الله - وقالوا: قد وقعت الفتنة فكيف نتقيها؟ فقال رحمه الله: اتقوها بالتقوى. قالوا: أجمل لنا التقوى؟ قال: تقوى الله عمل بطاعة الله على نور من الله؛ رجا رحمة الله، وترك معصية الله على نور من الله خيفة عقاب الله. وبهذا يُعلم أن تقوى الله ليست كلمة يقولها المرء بلسانه أو يدعو يَدْعُوهَا، وإنما تقوى الله عز وجل جد واجتهاد، ونصح للنفس بطاعة الله، والتَّقَرُّبُ إليه بما يرضيه، ولا سيما فعل الفرائض والواجبات، والبُعد

عن المعاصي والمنكرات، فمن كان هذا شأنه نال - بإذن الله - العاقبة الحميدة والنهاية الرشيدة، وأمن الفتن.

ألا ما أحوج الأمة اليوم إلى أن تُغَمَّر قلوب أبنائها بتقوى الله جل وعلا؛ حيث الفتن المشتدة، والمحن المتلاحقة، والابتلاءات المتداعية، والرايات المتداخلة، والسُّبُل المتشابكة.

ثانياً: ومن الضوابط المهمة لاجتناب الفتن لزوم الكتاب والسنة والاعتصام بهما، فإن الاعتصام بالكتاب والسنة سبيل العز والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد قال الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه: «إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». [رواه أبو داود (٤٦٠٧)]، وهو في صحيح سنن أبي داود (٣٨٥١).

وقد قال الإمام مالك - رحمه الله - إمام دار الهجرة: «السنة سفينة نوح، فمن ركبها نجا، ومن تركها هلك وغرق». ومن أمر السنة على نفسه نطق بالحكمة وسلم من الفتنة، ونال خيري الدنيا والآخرة، فالنجاة عند الاختلاف والسلامة من الفتنة إنما تكون بالتمسك بسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والبعد عن الأهواء والبدع، وأن يحكم المرء السنة على نفسه فيما يأتي ويذر في حركاته وسكناته وقيامه وقعوده وجميع شؤونه، ومن كان هذا شأنه فإنه يُعصم ويُوقى - بإذن الله - من كل شر وبلاء وفتنة.

ثالثاً: ومن الضوابط العظيمة لاتقاء الفتن: الرفق والأناة وعدم العجلة، والتأمل في عواقب الأمور، فإن العجلة لا تأتي بخير، والأناة فيها الخير والبركة، ومن كان عجولاً في أموره مندفعاً في تصرفاته، فإنه لا يأمن على نفسه من الزلل والوقوع في الانحراف والخطأ، وأما من كان رفيقاً متأنياً بعيداً عن العجلة والتهور والاندفاع، متأملاً وناظراً في عواقب الأمور، فإنه - بإذن الله - يصل إلى العواقب الحميدة التي يسعد بها في الدنيا

والآخرة.

وقد جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنها ستكون أمور مشتهات، فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعا في الخير خير من أن تكون رأسا في الشر».

إن من يندفع في معالجة الأمور، ويتعد عن سبيل الأناة والتؤدة يفتح على نفسه وعلى غيره من عباد الله بابا من الشر والبلاء، يتحمل وزره ويبوء بإثمه ويجني عاقبته الوخيمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه». [صحيح سنن ابن ماجه: ١٩٤].

رابعاً: وإن من الضوابط المهمة: لزوم جماعة المسلمين، والبعد عن التفرق والاختلاف، فإن الفرقة شر والجماعة رحمة، الجماعة يحصل بها قوة لحمة المسلمين وشدة ارتباطهم وقوة هيبتهم وتحقق وحدتهم، ويحصل بها التعاون بينهم على البر والتقوى، وعلى ما تكون به سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأما الخلاف فإنه يجز عليهم شرواً كثيرة، وأضراراً عديدة وبلاء لا يحمدون عاقبته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب». [رواه أحمد: ٢٧٨/٤، وهو في صحيح الجامع: ٣١٠٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة». [صحيح سنن الترمذي: ١٥٧٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». [رواه البخاري: ٢٤١٠].

وإن الأمة اليوم بحاجة أكثر من أي زمان مضى إلى الاتحاد على منهج الكتاب والسنة، حتى تصب الجهود في محصلة واحدة نحو الهدف السامي الذي يسعى إليه كل مسلم، لقيادة سفينة الأمة إلى بر الأمان، وشاطئ الإيمان، وإن كل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام في خدمة دينه وعقيدته، وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم، فأروا الله - أيها المسلمون - من أنفسكم خيراً.

خامساً: ومن الضوابط العظيمة التي يلزم مراعاتها لاتقاء الفتن واجتناب شرها: الأخذ عن العلماء الراسخين والأئمة المحققين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البركة مع أكابركم». [الصحيحة: رقم: ٢٨٨٤]. فالبركة مع الأكابر الذين رسخت أقدامهم في العلم وطالت مدتهم في تحصيله، وأصبح لهم مكانة في الأمة بما آتاهم الله من العلم والحكمة والأناة والنظر في عواقب الأمور، فعن هؤلاء أمرنا أن نأخذ، قال الله تعالى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسَيِّطُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً لَاجْتَعُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا» [النساء: ٨٣]، فمن كان معولاً على هؤلاء أمن الفتنة وحمد العاقبة، وإن من رحمة الله بعباده أن يُقيض في كل زمان ومكان - رجالاً أكفاء، ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله». [البخاري: ٣٦٤١، ومسلم: ١٠٣٧].

سادساً: ومن الضوابط المهمة لتجنب الفتن: حسن الصلة بالله ودعاؤه سبحانه، فإن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، ولا سيما سؤال الله تبارك وتعالى أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، والتعوذ به سبحانه من مضلات الفتن، فإن من استعاذ بالله أعاده، ومن سال الله أعطاه، فإنه سبحانه لا يخيب عبداً دعاه، ولا يرد عبداً ناده.

وإننا لنسال الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ على المسلمين أمنهم وإيمانهم، وأن يقيهم الشرور كلها، وأن يحمدهم العواقب، «اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم». [صحيح الجامع: ١٢٧٧].

والحمد لله رب العالمين.

الأمانة

إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن الأمانة فضيلة مباركة، من أجل ذلك أحببت أن أدكر نفسي وإخواني الكرام بمنزلة الأمانة في الإسلام، فاقول وبالله تعالى التوفيق:



تعريف الأمانة:

الأمانة: لفظ عام يشمل كل ما افترضه الله تعالى على المسلم، وأمره بحفظه، فيدخل فيها حفظ قلبه وجوارحه عن كل ما يغضب الله تعالى، وحفظ كل ما ائتمنه الناس عليه. (موسوعة فقه القلوب للتويجزي . ج ٢ ص ١٢٦٣).

١- القرآن يحثنا على الأمانة

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» (النساء: ٥٨).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): (يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَهَذَا يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَمَانَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ، مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى عِبَادِهِ، مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالزَّكَّاتِ، وَالْكَفَّارَاتِ وَالنَّذُورِ وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ مُؤْتَمَنٌ عَلَيْهِ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ الْعِبَادُ، وَمِنْ حَقُوقِ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَالْوَدَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتَمِنُونَ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ أَطْلَاعٍ بَيْنَهُ عَلَى ذَلِكَ. فَأَمَرَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِإِدَائِهَا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَخَذَ مِنْهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٤: ١٢٥).

٢- نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على حفظ الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أُتِمَّتْكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (صحيح أبي داود للالباني حديث ٣٠١٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» (صحيح الترمذي للالباني حديث ٢١١٨).

٣- التكاليف الشرعية أمانة:

قال الله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب: ٧٢) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: الْأَمَانَةُ: الْفَرَائِضُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ. (تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٢٢٥)

إقامة الصلاة المفروضة أمانة، وإداء

الزكاة المفروضة أمانة، وصيام شهر رمضان أمانة.

٤- جوارح المسلم أمانة عظيمة:

العقل من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، فالعقل هو الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وهو أساس التكاليف الشرعية، والثواب والعقاب، وكذلك سائر الجوارح، التي تعتبر أمانة عند الإنسان، سوف يحاسبه الله تعالى عليها يوم القيامة. فيجب على المسلم أن يحافظ على هذه الأمانة ويستخدمها في طاعة الله ورسوله.

وليحذر المسلم أن يستخدم نعمة العقل والجوارح في معصية الله، أو فيما يضر المسلمين، ومن فعل ذلك فقد خان أمانة العقل، التي أمره الله بالمحافظة عليها.

٥- تولية مناصب الدولة أمانة:

ولاية مناصب الدولة أمانة عظيمة في أعناق ولاية أمور المسلمين، سوف يسألهم الله تعالى عنها يوم القيامة، فليجتهد ولاة الأمور في القيام بمهام هذه الأمانة العظيمة، التي جعلها المسلمون في أعناقهم، وليحذر المسؤولون من استغلال مناصبهم في جلب منافع شخصية لهم، أو تعيين أشخاص من غير ذوي الكفاءات في المكان الذي يتولون قيادتها، أو في أي مكان آخر، فمن فعل ذلك منهم فقد خان الله وتعالى ورسوله والمؤمنين.

(أ) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» (مسلم حديث: ١٨٢٥).

(ب) عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكُنْمَنَا مَخِيطًا (الإبرة)، فَمَا قُوَّةَ كَانَ غُلُولًا (سرقة) يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (مسلم حديث: ١٨٣٣).

(ج) قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا لَمُودَةً، أَوْ لِقْرَابَةً، لَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا لَذَلِكَ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ. (مناقب عمر لابن الجوزي ص ٧٨).

٦- تولية القضاء أمانة:

تولي منصب القضاء للحكم بين الناس

أمانة عظيمة في أعناق القضاة، وليعلموا أنهم مسئولون عن ذلك أمام الله يوم القيامة، فليجتهد القاضي في الحكم بين الناس، على ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وليحذر من تولية القضاء لمن لا قدرة له؛ لأنه يَعْزُضُ نفسه لغضب الله في الدنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سَكِينٍ» (صحيح أبي داود للالباني حديث: ٣٠٤٩).

وَعَنْ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ» (صحيح أبي داود للالباني حديث: ٣٠٥١).

٧- العلم النافع أمانة:

العلم أمانة في عُقُقِ العالم يسأله الله عنه يوم القيامة، فيجب عليه أن يؤدي هذه الأمانة إلى الناس، وليتذكر العالم عظيم ثواب الله يوم القيامة.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (وهي الإبل الحمراء وكانت أنفس الأموال عند العرب). (البخاري حديث: ٢٩٤٢، ومسلم حديث: ٢٤٠٦).

وليحذر العالم أن يخالف فعله قوله، فيكون بذلك قد خان أمانة العلم. قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» (الصف: ٣:٢) وليحذر العالم أيضاً من التهاون أو التقصير في نشر العلم بين الناس، فيكون خائناً للأمانة التي وضعها الله تعالى في عنقه. والمقصود بالعلم هو كل علم ينفع المسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (صحيح أبي داود للالباني حديث: ٣١٠٦).

٨- إتقان العمل أمانة:

تعالى وفي خدمة نفسه وإخوانه المسلمين، فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وليحذر من قضاء الوقت في اللهو ومعصية الله، فيندم حين لا ينفع الندم، ويبكي حين لا ينفع البكاء. واحذر، أخي المسلم، أن تضع أمانة الوقت مع أصدقاء السوء، فتخسر الدنيا والآخرة. يقول الله تعالى: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبَسَنِي أَنْتَ اللَّهُمَّ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا» (٢٧) يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخُذْ فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (الفرقان: ٢٧-٢٩).

١١- الأسرار أمانة:

حفظ الأسرار ينشر السلام والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وإفشاء الأسرار ينشر الحقد والكراهية بين الناس. يجب على الرجل أن يحافظ على أسرار زوجته وبيته، والمرأة تحافظ على أسرار زوجها وبيتها، والصديق يحافظ على أسرار صديقه، والعامل يحافظ على أسرار العمل في المكان الذي يعمل فيه، فمن أفشى الأسرار، فقد خان الأمانة التي جعلها الناس في عنقه. عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَى عَلِيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سُرٌّ. قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ. (مسلم حديث ٢٤٨٢).

١٢- نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة

في الأمانة:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (وهي تتحدث عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم): أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ. (السنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٤٧٢).

١٣- الله تعالى في عون المسلم الأمين:

إذا اقترض المسلم مالا وكان في نيته سداؤه، أعانه الله تعالى. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ.»

إِتْقَانُ الْعَمَلِ أَمْرٌ وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَهُوَ أَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ سَبِيلُ تَقَدُّمِ الْأَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَلْيَعْلَمْ الْمُسْلِمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَسَوْفَ يَحَاسِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُثَقِّنَهُ.» (السلسلة الصحيحة للألباني حديث: ١١١٣).

وليحذر المسلم خيانة أمانة العمل وذلك من بالتقصير في عمله أو غش المسلمين من أجل الحصول على الربح الكثير، فإن هذا المال حرام ولا بركة فيه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ (الكومة من الطعام) فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَجَاءَتْ أَصَابِعُهُ بِلَا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَانَتُهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (مسلم حديث: ١٠٢).

٩- المال أمانة:

يجب على المسلم أن ينفق المال الذي رزقه الله فيما يرضي الله، وليعلم أنه مسئول عن ذلك المال يوم القيامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا آفَأَهُ، وَعَنْ عَمَلِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ.» (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٧٠).

ليحذر المسلم أن ينفق ماله في معصية الله تعالى، فيكون وبالاً عليه يوم القيامة.

١٠- الوقت أمانة:

رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَقْتُ قَصِيرٍ وَأَنْفَاسٌ مَحْدُودَةٌ وَأَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، فَمَنْ اسْتَثْمَرَ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ وَالسَّاعَاتِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَطَوَّبَى لَهُ، وَمَنْ أَضَاعَهَا وَفَرَطَ فِيهَا فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مُبِينًا، وَلْيَعْلَمْ الْمُسْلِمُ أَنَّهُ مُسْئِلٌ عَنِ الْوَقْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْطُهُ: اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ. (صحيح الجامع للألباني حديث ١٠٦٣).

فيجب على كل مسلم أن يحافظ على أمانة الوقت، ويستغل هذا الوقت في طاعة الله

وسلم قَالَ: أَبَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ. (البخاري حديث: ٣٣، ومسلم حديث: ٥٩).

١٥- ضياع الأمانة من علامات الساعة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ السَّاعَةِ: «إِذَا ضَيَعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وَسَدَ (أُسْنَد) الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (البخاري حديث: ٥٩).

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(البخاري حديث: ٢٣٨٧)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ مَيْمُونَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَانَتْ فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، تَسْتَدِينِينَ وَلَيْسَ عِنْدَكَ وَفَاءٌ، قَالَتْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ دِينًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، آعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». (صحيح النسائي للآلباني ج ٣ ص ٢٦٠).

١٤- التحذير من خيانة الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

عزاء وجب

فقدنا في الأيام الماضية الاخ الحبيب المهندس/ خالد محمد حسين، رئيس مجلس إدارة المركز العام بالزيتون «العزیز بالله»، الذي فاضت روحه إلى خالقها يوم الاثنين ٢٩/٥/٢٠١٢م عن عمر يناهز ٥٣ سنة. وقد تولى - رحمه الله - إدارة المركز الإسلامي سنة ١٩٩٥م وكان محباً للخير داعياً له متمسكاً بالسنّة بدلاً لوقته وماله في سبيل دعوة رب العالمين، وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعو الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، آمين.

تعلن مدارس الوسط الأهلية في السعودية عن حاجتها إلى معلمين في التخصصات التالية:

١- معلم فصل «أول - ثاني - ثالث» ابتدائي.

٢- معلم «إسلامية - لغة عربية - اجتماعيات

- رياضيات - علوم - فيزياء - كيمياء - أحياء - جيولوجيا

- حاسب آلي - بدنية - مشرفين تربويين»

يُفضل حفظة القرآن الكريم.

تبدأ المقابلات بمشيئة الله تعالى ابتداء من

يوم السبت الموافق ٢٣/٦/٢٠١٢م لمدة ١٢ يوماً ، والله الموفق .

أرسل الأوراق إلى مكتب مستقبل 74 شارع النزهة مشرق مع شارع جدة - الرياض - ١١٤٦١١٢

هاتف: ٠١١١١٢٩٣٧١١ - ٠٢٣٧٦٦٥١١

bestfuture20007@hotmail.com



مجلة التوحيد

حلم نافع لا يستغنى عنها الأئمة المسلم

- مجلة التوحيد مجلة دينية علمية ثقافية تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر مطلع كل شهر عربي
- ★ مجلة التوحيد من أوسع المجالات الإسلامية في مصر والعالم العربي انتشاراً
- ★ مجلة التوحيد توصل الأحداث تأصيلاً شرعياً من خلال نخبة من الكتاب والعلماء من مصر والعالم الإسلامي
- ★ ومفاجأة كرتونة مجلة التوحيد بها أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية
- ★ مجلة التوحيد موجودة لدى باعة الجرائد وفروع أنصار السنة المحمدية بمصر والكتبات

سعر
المجلد الجديد
٢٥ جنيهاً
مصرياً



سعر الكرتونة
٧٥٠ جنيهاً
مصرياً

٨ شارع قولة. عابدين. القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

تيفظ لمواسم الطالعات

مجلة
الأسبوع



مجلة
الأسبوع

١٢ ش رفاة من الخليفة المأمون روكسي القاهرة

تليفاكس : ٢٢٤٥٥٧١٧٧ - ٢٢٤٥٤٩٥٥٧ - ١٩٥٤٦١٩١٩ - ١٤٤٤٦٦٨٨

mass4distribution@yahoo.com